خاتمان من أجل سيدة

تأليف

أنطونيو جالا

ترجمها وقدم لها

أبو همام

عبد اللطيف عبد الحليم



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

تصميم الغلاف :

ماهر الشمسى

الاخرج الفنى :

الاهـــداء

الى الذى كـاد يـكون روحـا محضـا ،

الى الحسـنى الفـاطمى الشـريف ،

الأسـتاذ الشـاعر

عـلى الجنـدى

قـدس الله سـره .

ابـو همـام

العنوان الأصلى للمسرحية

ANILLOS PARA UNA DAMA

ANTONIO GALA.

1974

BIBLIOTECA JUCAR

مقدمة بقلم المترجم

« ان الممثلين الذين يمثلون رواية دون أن تكون الأزياء أو الأشياء أو الكلمات موائمة ؛ بدون كل هذه الأمور التى يجب أن تتماشى والأحداث ، من الجائز أن يظهروا وكأنهم مجانين .. لكن المجانين أكثر منهم أولئك الذين يعتقدون أنهم يمثلون التاريخ الحقيقى ، التاريخ بمعناه الدقيق » .

هكذا قدم المؤلف بهذه الكلمات لمسرحيته « خاتمان من أجل سيدة » ، وقد حدد دوره الابداعى ، أو بمعنى أدق تعامله مع حوادث التاريخ كما يرويه المؤرخون . انه اتكأ على التاريخ فى بناء مسرحيته اتكاء فنان مبدع ، يتخيل الحوادث ، ويلابس الشخوص ويتنفس من رئتيها ، يتعامل مع التاريخ كائنا حيا ، يوقظه من سبات المدونات ، ويمسح عنه غبار الزمن . وهكذا يستطيع الفنان أن يلتقى بشخوص التاريخ ، يؤاكلها ، ويشاربها ، ويماشيها ، ويفضى اليها ، وتفضى اليه بعد أن نفض عنها أكفان البلى ، وينقل الينا لحظات وهجها ، وخمودها ، زمهرير قنوطها ، وربيع رجائها ، هذا هو وكد الفنان والمرتجى منه ، وما عليه بعد ذلك ــ لو استقام له هذا المعيار ــ أن يبتعد عن التاريخ بمعناه الدقيق كثيرا

أو قليلا ، لأن الفن لديه أكثر صدقا من ذلك التاريخ الغافى فى أحشاء المدونات .

نحن ازاء مسرحية تعتمد التاريخ لكنها غير تاريخية ، لأن صاحبنا انطونيو جالا لا يريد أن يقدم لنا تاريخ أميرة بلنسيه : السيدة خمينا فقد أعفاه مئونة هذه التبعة المؤرخون قدماء ومحدثين ، لكنه اتخذ التاريخ وعاء ، وتعامل مع الرواية الشعبية كما وصلت اليه عن طريق الشاعر الجوال فى « ملحمة السيد(١) » . ولم تحترم مسرحيته التاريخ بمعناه الحرفى ، بل انها تعارض التاريخ ، ولذا كتبها « بالكلمات الصغرى » عكس التاريخ الذى كتب بالكلمات الكبرى » كما يشير المؤلف الى ذلك ساخرا ، والا فان الحب ــ كما تقول خمينا ــ احدى الكلمات الكبرى ، وربما راى بعض الناقدين فى هذه المسرحية سوء استخدام للتاريخ الذى ينظر اليه الاسبان نظرة القداسة خاصة ما يتعلق ببطلهم « السيد » اذ يرونه بطلا قوميا على حين أن مسألة القومية هذه لم تدر بخلده ، ولا فى خلد معاصريه ، انما كان رجلا حسبه الغنيمة والصيت ، وما عليه بعد ذلك لو توصل اليهما بأحط الوسائل (٢) ونظرة الاسبان هذه الى بطلهم عبر عنها أحد أقارب المؤرخ الكبير : مينندث بيدال فى تعليق له على تلك المسرحية قائلا : لو أن بيدال بعث من جديد وقرأ هذه المسرحية

---

(١) ترجمها وشفعها بدراسة قيمة صديقى واستاذى الدكتور الطاهر مكى ــ وصدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧٠ .

(٢) انظر دراسة الدكتور الطاهر مكى لهذه المسألة باسهاب فى فصل « السيد انسانا » .

او شاهدها معروضة لمـات بالذبحة الصدرية (٣) لأن المؤلف لم يراع حرمة السيد التى كان ينظر اليها المؤرخ فى نوع من القداسة.
كل ما يهم أنطونيو جالا اذن من حوادث التاريخ هو التاريخ النفسى لأميرة بانسية ، يرصـد طوالع نحوسها وسعودها ، وينقل الينا خفقات قلبها ـ متخيلا ـ فنحس معه كأننـا نناجى السـيدة خمينا وتناجينا ، ولو قابلناها فى الطريق لافترت شفاهنا عن بسمة متعاطفة تمنحها قطرات فى السلوى فى وحشتها اليابسة فى دير سان بدرو دى كاردينيا .

هذه المسرحية كمعظم مسرحيات انطونيو جالا تعالج قضية الحب المستحيل والمزدرى ، فالسيدة خمينا بطلة المسرحية زوجة بطل اختلط تاريخه بالأسطورة اختلاطا شـديدا ، لم تتزوجه عن حب ، بل انهـا تزوجتـه دون أن تعرف شخصـه ـ حسـب المسرحيـة ـ ولم تره الامرات قـلائل طوال حياتها الزوجيـة ، لانشغاله بالطعان والنزال ، وعاشت معظم حياتها فى الدير صحبة بنتيها وابنها الوحيد الذى مات فى غضـارة الشباب ، رافقهـا كثيرا من الوقت مينايا ابن أخ زوجها ، فأحبته فى صمت اخرس ، واحبها هو أيضـا فى مثل صمتها ، لكن زوجها « السـيد » ظل قائما بينهما مثل سيف بارد ، يهلك زوجها فتصبر عامين لبست فيهما الحداد ، ولبست خاتمه ، عادة تتخذها الأرامل فى اسبانيا حتى الآن ، الى أن حانت الفرصـة فطلبت من الملك الفونسـو السادس أن تتزوج من مينايا لعشقها له ، وتريغ أن تعيش حياتها كما يروق لها هى ، لا كما يروق للآخرين ، لكن شئون السياسـة

---

(٣) حدثنى بذلك المؤلف فى لقـاء معه صحبنى فيه صـديقنا الأديب خوسيه ماريا كالبو الذى فك لى بعض مغالق العبارات الشعبية فى المسرحية .

تلعب دورها هنا كما لعبته فى السابق لدى زواجها من « السيد »، تغلبت ــ بطبيعة الحــال وكما اراد المؤلف ــ كفة السياســة على كفة الحب ، فاختنق حب خمينا الأرملة أمام السياســة وأمــام استخذاء ميناايا ، وأمام الزمن ، وآضت خمينا رمزا لكل الأرامل اللائى تغطى على حياتهن ظلال أزواجهن حتى بعد أن صاروا فى الأجداث رفاتا .

انه الموضــوع الأثير لدى السيد جالا . بطلاتــه لا يصنعن شيئا حاشا الانتظار ، ولا يجدن له جوابا . مثل هذه المسرحيــة مسرحياته الأخرى « بترا المهداة » و « أنسة الفردوس العجوز » التى انتظرت عاشقها الوهمى أربعين سنة فى مقهى ولم يحضر ، ان الاحســاس بمرور الزمن يطغى على شخصــياته ، وســيطرة التقاليد وغيبة الحرية ، والحب المزدرى أو المستحيل هى الأقانيم التى يدور حولها مسرح انطونيو جالا فى الأعم الأغلب ، وان كنــا نرى أنه أحيانا يكرر نفسه ، ويدور فى فلك واحد ، وقد أتيح لنا أن نرى مؤخرا عرض مسرحيتــه « آنســة الفردوس العجوز » فوجدنا فيها ملامح قريبة جدا من « خاتمان من أجل سيدة » وخاصة فى شخصية البطلة وحوادث حياتها ، عدا بعض توشيات اقتضتها حوادث مسرحيته الأخيرة « آنسة الفردوس العجوز » التى ما تزال تعرض حتى كتابة هذه السطور .

والمــأساة فى هــذه المسرحيــة لا تكمن فى الحب بل تكمن فى استحالته ، لأن زمن الحب انتهى بالنسبة للبطلة ، بل انها لم تحب ــ فى الواقــع ــ ولم تعش هــذا الحب مع زوجهــا حتى جسديا الا بضع مرات على حد قولها ، هى تعيسة الحظ فى البدء والختام ، وبما أنها لم تملك الرجل مطلقــا ، فان حبها فى المسرحية رغبــة عارمة فى تملك الرجــل بدون قيود أو شروط ، أو تملك

الرجل اياها ، وسر تعاستها ليس فى طبيعتها ولا فى حياتها ، ولا فى وضعها بل فى كونها امراة ، ولذا كانت محاولتها الهروب من شبح السيد لتنقذ نفسها وتعيش حياتها ، وهو شيء مستحيل، لأن ملابس الحداد تطوقها ، وخاتميها يراقبان مجرى هواجسها ، قد سلبوها كل شيء حاشا خاتمين اثنين ، تريغ التمرد على القيود المحاصرة لها فهددوها بتهمة الجنون ، وحاولت الهرب مع مينايا مفكرة فى مساعدة جنودها الأوفياء لكن مينايا يصدها عن الفكرة ، لأن هؤلاء الجنود أوفياء للسيد ولخمينا زوج السيد أو ارملته ، لا لخمينا عاشقة مينايا .

الحفاظ المر على التقاليد ، والعرف الوعر الذى يغل الألسنة ان تنطق شيء تثيره مسرحية « خاتمان من اجل سيدة » فبطلتها امرأة يخفق قلبها بالحب ، لكن كيدها غير عظيم ، لذا لم يخرج حبها عن نطاق الاعتراف به ، غير متعد حدود الطلب . وأمثال السيدة « خمينا » كثيرات فى التاريخ قديمه وحديثه ، بيد أنه اتيح لهذه السيدة كاتب مثل جالا أفضى بمكنون فؤادها ، مفرغا الحب على لسانها ، ولعل جاكلين كيندى بعد هلاك زوجها وعشقها لأوناسيس اوحت الى كاتبنا بهذا الموضوع ، فوقع اختياره على « خمينا » زوج السيد ، وعاشقة مينايا ، الحدث قريب حين تنظر من قريب ــ على راى المعرى ــ ولو أتيح لزوج فرنكو ولأزواج كثيرات من الأجانب والعرب على السواء كاتب يخرجهن عن صمتهن ، فتتكلم الأرامل الصامتات لسمعنا شيئا شبيها بما قالته السيدة « خمينا » .

لكن الشيء المثير للتساؤل عند المؤلف أنه يجعل المراة طالبة لا مطلوبة فى معظم اعماله تقريبا ، انها تنتظر وهذا شيء يتسق وما اشرجت عليه المرأة من خفر وحياء اما أن تصرخ فى الملأ وتعرى مشاعرها فهو شيء لا نجد له تفسيرا لدى الكاتب الا أن تكون

سطوة التقاليد التى تخرج المرأة عن اطارها ، أو يكون لديها حس رجولى يغلب طابع الأنوثة فيها ، أو تكون هــذه الصرخة صرخة الشوق الى الحرية المرجوة ونضالا من أجل الرجل هروبا من الجور الذى لحقها ويلحقها ، وسـعيا حثيثا الى الحرية التى صفدتها أغلال السياســة الجائرة ، لكنهــا على كل حال تفر من الضياع الى الضياع ، لأن احساسها بالشيخوخة و « فوات الأوان » يأخذ عليها متوجهها ، فخمينا ضد خمينا ، منشقة على ذاتها ، تفر من قيد لتقع فى قيد أشد وثاقا ، ملت من التاريخ ، فاض عليها من كل الجوانب ، أحبطتها الكلمات الكبرى هذه اللعبة الكبرى التى يتذرع بها رجال السياسة لاحكام قبضتهم ، ولجلب الدنيا اليهم :

انما هذه المذاهب أسباب لجلب الدنيا الى الرؤساء .

كما يقول شيخ المعرة . أرادت السيدة خمينا ان تعيش حياة الحب التى تتخيلها وتحلم بها ، والتى حرمت منها فى حياتهــا الزوجية لكن لعنة الزمن تطارها ، وصلت متاخرة جدا ، افاقت لنفسها بعد أن فاتها القطار ، نظرت الى المرآة لتنظر تجاعيد الزمن فى وجهها ، تفكر فى الموت انتحارا لكنهم لم يدعوا لها شيئا تموت به ، ولا حتى سن الانتحار التى يموت فيها المرء من الحب اليائس، ان عليها أن تخلد الى اللاشىء تجلس على باب المنزل فى انتظــار الموت بجانب رفات زوجها كما أخلدت من قبل الى ســكون دير كاردينيا فى حياة زوجها توشى ستائر الهيكل ، بجــانب اسقف أصم ، ومع بعض العجــائز يزجين الوقت فى الصمت وفى الحديث الذى يشبه الصمت ، لأن لعنة البطل لا تسمح لها بأن تعيش حياة طبيعية ، حتى وان كان فى الكاس سؤر من شــباب فى طريقه الى الاشاحة والأدبار ، ولعل هــذه الصرخة الى الحرية تسوغ كون المراة طالبة لا مطلوبة ، لأن الرجل هنا معــادل للحرية المبتغاة .

ولعل رائحة الجنس التى تفوح من كلمات خمينا ومن صمتها انما تفوح من احتراق الضياع الذى يلتهمها ، وتعكس صورة لهذه الحرية المفقودة فى حديثها الجاد أو الساخر من التاريخ ومن الملك الذى لا تحتاج منه الى قرار ملكى لتمارس الجنس . وربما كنا أميل الى أن شخصية « خمينا » وشخصية « آنسة الفردوس العجوز » فيهما مشابه من شخصية انطونيو جالا التى تعتصم بأسوار « الانتظار » ولا تقتحم هذه الأسوار !! وربما كان مينايا أيضا يحظى بعطف شديد من المؤلف نظرا لتوافق مشاربهما « يحبان ان تقدم لهما الأشياء جاهزة مثل الأطفال » كما تقول خمينا فى نعت مينايا ، وربما كان ثمة سبب فى اختيار المؤلف أبطال مسرحياته فى سن الكهولة او فى أواخر الشباب ، فان هذه السن هى عمر المؤلف الآن الذى تجاوز الأربعين ، وهذا — فى حد ذاته — يجعل المشابه بينه وبين بطلاته شيئا غير بعيد ، لكننا لن نخرج بذلك عن دائرة « الربمات » ، فالدواعى لا تتزاحم ، ومنادح النفس الانسانية أرحب من أن يحتجنها قفص واحد .

وهذه المسرحية فيها لون من الزهد الاضطرارى خاصة فى خاتمتها ، يسرى فى أعراقها ضرب من الأمل والعدالة ، شعور بالأمل يشيع فى نفس البطلة وزهدها الاضطرارى طوال حياتها ، والعدالة فى حقها فى الحياة مع نفسها ومع الآخرين ، فى حبها الانسانى الذى تمتزج فيه العذرية الحالمة الآملة بالحسية والشهوة ، العدالة فى انصافها من جور السلطة الحاكمة التى ترى فى خمينا أداة لاحكام قبضتها على مقاليد الأمور ، حتى ابنتها نفسها تبحث من خلال قهر أمها عن الميراث .

ومسرح انطونيو جالا مسرح فكرى يوظف كل حوادث الرواية ليفضى بفكرته فى الختام ، وشخوصه فى هذا المقام مفرغة فى

قالب من الوصف الدقيق لأطوار النفس وطبائعها ، لكنهـا لا تبلغ أن تكون « تركيبة » شخصية يخلقها الفنان ، وننتظر أن نعرف كيف تجيش هواجسها النفسية ، وكيف تتصرف فى المواقف التى تعن لها ، مثل هذه القدرة فى « خلق » الشخصيات ، وافراغها فى قالب لا يمتزج بغيره ولا يختلط به ، بحيث نميز خمينـا مثلا من « جنس » النساء اللائى عشن مثل حياتها من قريب أو بعيد ، لا نجد عند كاتبنـا مثل هـذه القدرة ، انما شخوصـه تتحرك وتجالد ، وتتوفز لتكون الحصيلة فى النهاية الفكرة التى تؤرق المؤلف ، وتملك عليه أقطار نفسـه ، ويريغ أن يعبر عنهـا . ولا تثريب على المؤلف فى عدم « خلقه » للشخصيات ، لأن هـذه قدرة فذة لم يرزقها الا أولو العزم من العباقرة وهم قليل !!

ينفى المؤلف ــ فى لقائى به ــ انه تأثر بغيره من الكتـاب الاسبان أو الأجانب حاشا رواية « لاثيلستينا » (١) أو « القوادة » كما يمكن أن تترجم ، والرواية « البيكارسكية » ــ روايات على نمط المقامات العربية وتأثرت بها ــ بيد انا نرى فى مسرحيته هذه لونا من التوافق بينه وبين أنطون تشيخوف فى مسرحيته « الخال فانيا » فان ناتتشا تقول : « سوف تنسى وجوهنا » وتردد خمينا الجملة ذاتها فى موقف مختلف (٢) ، وكلتاهما تطل على هوة من الضياع ترتعد أمامها الظنون ــ على رأى ابراهيم ناجى ــ ، ونحن ــ فى الحقيقة ــ لا نرى فى مثل هـذا التوافق حرجا ، لأن التأثر بالآخرين لا ينفى الأصـالة ، اذا كان تأثر الأصـلاء الواعـين ،

---

(١) ترجمها الى العربية محمود صبح ونشرها المعهد الاسبانى العربى للثقافة بمدريد .

(٢) اشار الى هـذه الموافقـة انخل فرنانذث سـانتوس فى مقدمتـه للمسرحيـة .

لا المقلدين الخاملين . فالكاتب لحظة الابداع يطفو على أديم فكره وشل أو فيض من قراءته ولا تثريب عليه ، لأنه تمثل ما قرأه ، وأضافه الى نسيجه الفكرى أو الشعورى ، وآضت خرافه فى تجاليد ليث ، وهـذا ما نراه فى « خاتمان من أجل سيدة » ، فانها تعزى مضمونا وتعبيرا الى انطونيو جالا ولا يطفر اسم تشيخوف ولا ناتتشا بطلته الا طفرة عابرة لنؤوب فى الحين الى صوت خمينا ، كما أن المسرحية أفادت كثيرا من « ملحمة السيد » فى متابعة بعض حوادثها ، وفى نقل المؤلف فى مسرحيته بعض أناشيد من الملحمة خاصة فى « صوت خمينا » وفى طلب الأسقف الأصم أن يكون البادىء بالمعركة ضد المسلمين ، وغير ذلك من الحوادث الأخرى .

تدور حوادث هذه المسرحية فى مدينة بلنسية التى غزاها السيد لنفسه ، وافتتحها بعد حصار طويل ذاق فيه أهلها كل ضروب العذاب والهوان ، وارتكب السيد أفظع ما عرفته البشرية من الخيس بالعهود ، فأمر بعد الفتح باحراق قاضى المدينة أو حاكمها « ابن الجحاف » حيا ، وسط أهله وذويه ، وحول المسجد الجامع الى كاتدرائية أطلق عليها اسم « سانتا ماريا » بمشورة الأسقف خيرونيمو ، وهو راهب فرنسى تميز بالتعصب الذميم ، ولعب هو والجماعة التى يعزى اليها دورا كبيرا فى نقل الروح الصليبى الى الأندلس وكان قد سقطت طليطلة قبل بلنسية بعشرة أعوام ــ سلما ــ فى يد ألفونسو السادس . فترات عصيبة مر بها المسلمون فى الأندلس ، فصار كل مدينة فيها أمير المؤمنين ومنبر ــ كما يقول الشاعر القديم ــ عرفت باسم فترة ملوك الطوائف .

لم يستتب الأمر للسيد كثيرا فى بلنسية ، لأنه هلك كمدا

بعد خمس سنوات تقريبا عـــام ١٠٩٩ ، دافعت خمينا عن المدينة عامين كاملين ، لكن الأمير أبا محمد المزدلى ـ كما جاء فى المسرحية أيضا ـ حاصرها ، فأرسلت خمينا خيروينمو الى الملك الفونسو السادس ليقنعه بالحرب ضد المرابطين ، بيد أن الفونسو لم يحارب لضخامة عدد المسلمين ، فآثر ترك المدينـــة وحرقها ـ كما تقول المسرحية أيضا ـ وفى سخرية ، لأن أهل هذه المدينـــة يحبون منظر النار ، وما زالت الأعياد حتى الآن فى بلنسية تتميز بحرق التماثيل التى يصنعونها من الورق وغيره . ثم مضت خمينـــا فى صحبة رفات زوجهـــا الى برغش لتهلك بعده بخمس ســـنوات عـــام ١١٠٤ (١) .

تلك حوادث التاريخ فى اقتضاب شديد ، أما موقف المؤلف من هذه الأحداث فلا يشى اطلاقا بعصبية ضد العرب والمسلمين ، بل هو أقرب الى التعاطف الحصيف ، وادنى الى السخرية من التعصب الذميم الذى تجســـد فى الراهب خيروينمو ، فصـــوره اصم مثيرا للضحك ، يبحث ـ مثل بعض رجال الدين المنافقين ـ عن المنصب والجـــاه بالتزلف المقيت لأرذل الحاكمين . ولا يبدو من نص المسرحيـــة كذلك أن المؤلف يشايع أسطورة بطولة السيد القومية ، بل جاء حديثـــه عنها ضربا من التندر الذى يبعث على الابتسام أو الضحك ، خاصـــة حين تتحدث خمينا عن رغبتهـــا فى خروجها من التاريخ الرسمى الذى أقحمها فيه السيد قهرا ، لتحيا حياتها هى تقول : « لقد وجدت نفسى دائمـــة ضائعـــة فى هذا التاريخ الضخم ، فاض على التاريخ من كل الجوانب .. ان الميت كان عظيما .. رايتنى مضطرة أن اقصر التـــاريخ على الحدود المنزلية » .

---

(١) راجع دراسة الدكتور الطاهر مكى القيمة فى كتابه ملحمة السيد .

وفى المسرحية أيضا اشارات الى شخصيات عربية مثل القائد المرابطى أبى محمد المزدلى ، وابن غلبون أمير محلة مولينـا ، والملك القادر والمعتمد بن عباد ، واهتمـام المؤلف بالتاريخ العربى فى الأندلس نابع من اعتبار هـذا التاريخ حلقـة من تاريخ بلاده ، خاصة وهو من قرطبة دار الملك والخلافة ، وقد فرغ لتوه ــ كما حدثنى ــ من كتابة حلقات للتليفزيون الاسـبانى عن المنصـور بن أبى عامر ، وابن رشد (١) .

جاءت المسرحية قمة فى التعبير ، وآية من آيات البيـان ، فالمؤلف ــ قبل كل شىء وبعد كل شىء ــ شاعر يوظف كل ادواته الفنية فى حذق وبراعة ، فخرجت المسرحية ــ وهى نثر ــ قصيدة أو ملحمة شعرية ، فيها القصـد فى القول ، والجملة المكثفة ، والتصوير المشع الموحى ، ولم يتخل الشاعر عن شـعره ليكون كاتبا مسرحيا ، بل جـاء فى بعض المقاطع نظم لا ينقصـه الوزن ولا القافية ، واتى الحوار محكما ، مركزا ، تتخلله فقرات من الصمت الناطق : صمت الخواطر ، يقول فيها المؤلف ما لا تقوله الكلمـات . وبجـانب هـذه اللغـة الآسرة لم يتورع المؤلف عن استعمال تعبيرات عامية تعيش على شفاه الناس طازجة فى الشارع والسوق ، لكن كل تعبير كان يصـادف موقعه ، فيطربك حلوله مكانه ، وكان عنتنا شديدا أن تتهم مع اسـلوب المؤلف وتنجد ، لكن لغتنا الحية الغنية كانت فى كل المواطن تسعف وتنجد .

---

(١) ترجمنـا هـذه المسرحيات وغيرهـا فى كتـاب « خمس مسرحيـات اندلسـية » .

بقى أن نقول كلمة عن المؤلف ، وقد أخرناها عمدا ، لرغبتنا فى أن يعرف بفنه قبل أن يعرف ببياناته الشخصية .

ولد فى قرطبة فى ٢ اكتوبر عـام ١٩٣٦ ، تلقى دراساته الأولى والمتوسطة فى مدرسة « لاسال » بقرطبة ، حاز ليسانس الحقوق من جامعة أشبيلية ، وليسانس الآداب من نفس الجامعة ومن جامعة مدريد ، ثم حاز ليسانس الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة مدريد .

عمل فى عام ١٩٥٩ مدرسا للفلسفة والتاريخ فى بعض مدارس مدريد ، ثم اشتغل مديرا لمعهد « فوكس » للغـات ، ومديرا فى الوقت نفسه لقاعة الفن « مايور » . وفى عـام ١٩٦١ أسس قاعة الفن ونادى « الأربل » فى مدريد ، وفى عام ١٩٦٣ فاز بجائزة المسرح القومية « كالديرون دى لاباركا » بعدها كرس حياته تماما للأدب .

أصدر ثلاثة دواوين شعرية خلال أعوام ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٥ ، كما نشر ثلاث قصص فى عامى ٦٣ ، ٦٤ ، وله مجموعتا مقـالات صدرتا عام ٦٥ ، كتب مسلسـلات كثيرة للاذاعـة والتليفزيون الاسبانى ، وعرض له فى السينما ثلاث روايات .

من بين اعماله المسرحيـة تبرز مسرحياتـه « حقول عدن الخضراء » ، « الأيام الحلوة الضائعـة » ، « بترا المهـداة » ، « آنسة الفردوس العجوز » ومسرحيتنا هذه « خاتمان من أجل سيدة » : وكل هـذه الأعمال عرضت على المسرح فى معظم انحاء اسبانيا وامريكا اللاتينيـة ، واحتفل بالعرض الألفى لمسرحيتنـا هذه عام ١٩٧٦ وطبع منها مليون نسخة ، ويرى كثير من النقاد انها افضـل أعمـاله المسرحيـة حتى الآن ، ويعتبرون كاتبهـا

« انطونيو جالا » من كبـار كتـاب المسرح الذين عرفتهم اللغـة الاسبانية فى الحقبة الأخيرة ، وقد ترجمناها الى لغتنا العربيـة لجودتهـا الفنيـة أولا ، ولصلتهـا بالتـاريخ العربى فى الأندلس ثانيا ، ولنقدم للقارىء العربى كاتبا اسبانيا ، لم يترجم ـ للأسف ـ شىء من أعماله الى لغتنا ، ونرجو أن نكون قد وفقنا فى هـذا القصد ، وعلى الله قصد السبيل ؟

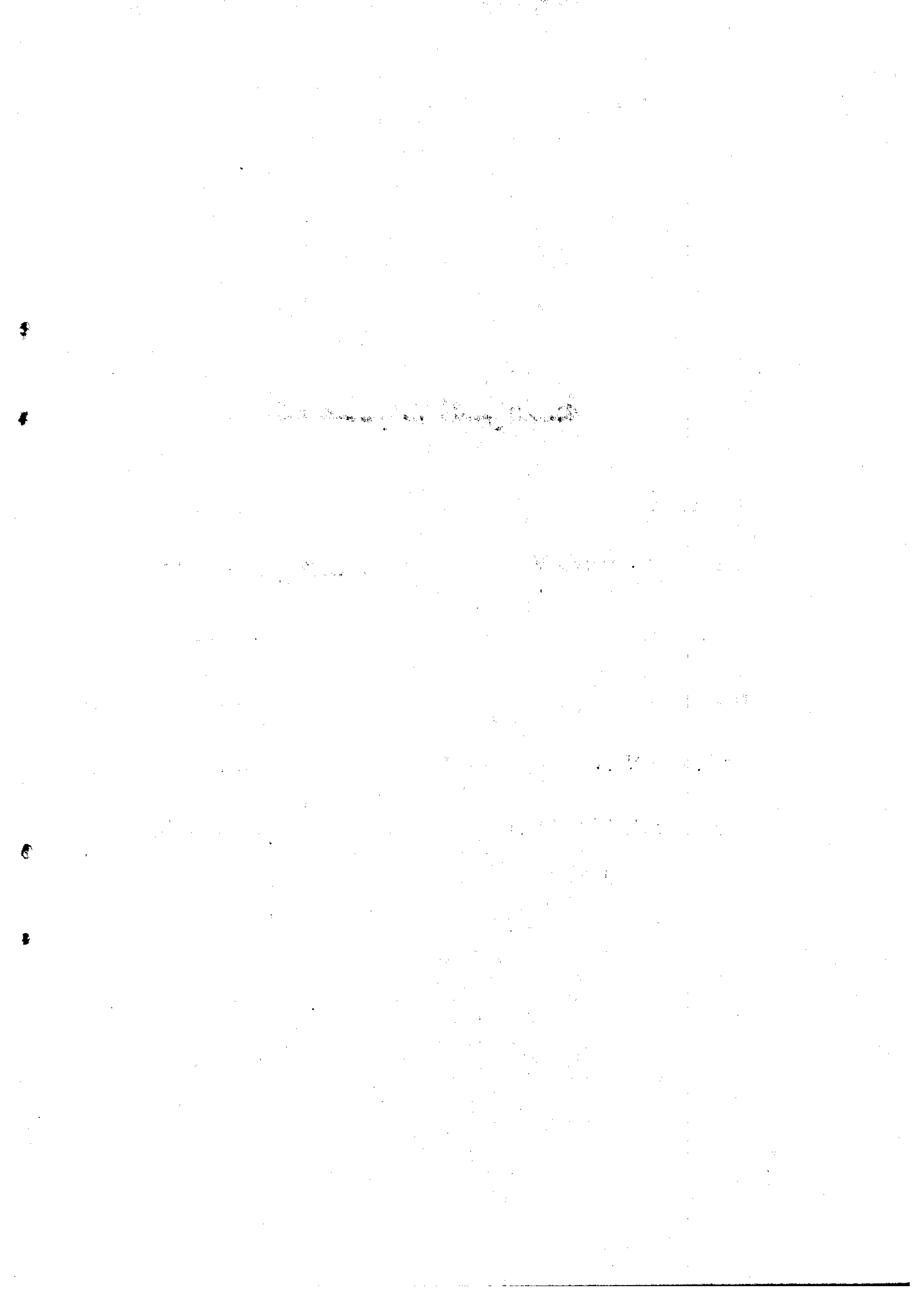
مدريد فى اكتوبر ١٩٨٠ .

عبد اللطيف عبد الحليم

(ابو همام)

شخصيات المسرحية

خمينا	JIMENA
الملك الفونسو السادس	REY ALFONSO VI
ميناايا	MINAYA
ماريا	MARIA
كونستانثا	CONSTANSA
الأسقف خيرونيمو	OBISPO JERONIMO



المنظـــــر : تكفى غرفة واحدة ذات الوان متقاربــة . ولا بأس من لمســة موريسكيــة (عربيــة) خفيفــة توحى بالأماكن .

الأثاث الضرورى الذى يقتضيه الحوار .

تتكفل الأضــواء بالبــاقى . ومن المهم استخــدام درجات ضوئية مختلفة .

المــلابس : فى البداية ، تكون الملابس من ذات الحقبة الزمنية. وان كانت غير مميزة تماما ، وفيما بعد تميل الى الحداثة . ولا ينبغى أن تكون النقلة عنيفة ، مثل الملابس فى ذلك مثل اللغة : فهى لغة اليوم ، وان كان لها عبق غريب يبعدها عن لغة اليوم .

الفصـــل الأول

فى الكنيسة الكبرى لسانتا ماريادى بلنسيـه دونيــا خمينــا فوق منصــة مجللة بالســـواد ، ودونها بقليل الى أسفل دونيا ماريا ، وميناايا البار آنيث ، كل واحــد منهما فى جــانب ، اما دونيــا كونستانثا فكانت فى المقعد الثانى ، النسوة جاثيات، والرجل واقف ، تتشح النســوة بثياب الحـداد الصارم ، ثياب سابغــة ، وعلى الوجوه حجــاب ، يرتدى مينايا حالة يمــكن ان يبدو فيها جنــديا ، ويمكن أن يعتبر من رجال البلاط ، ومن الصعب أن تعزوها الى حقبة معينة .

الأسقف خيرونيمو فى منصة عالية علوا كبيرا ، تجلله ثياب من الممكن ان تبدو رومانيــة أو عصرية

جـدا ، عنـدما يرفع السـتار يسـتمر القداس الجنائزى الذى يؤديه الأسقف .

خيرونيمـو : حين مات بكت أوربا كلها ، وامست ربوع فشتالة دون حام ، خسرت النصرانيـة قديسها وشارتها ، فى مثل هذا اليوم من عامين خلوا ، عندما اغمض رودريجو دى بيبار عينيه مات أكبر محارب ، وخير زعيم يذكره الذاكرون ، لم يظهر على الاطلاق منذ الاسكندر رجل عظيم مثله ، وبالنسبة لى ــ وانا الذى وسـدته القبر ــ يبدو لى كذبا ان نعشـا متواضعـا يمكنـه أن يحتجن مثل هـذا الجبـل الباذخ ، منذ تلك اللحظة اصبح فى وسع كل منـا أن ينادى أخـاه : انت لاحضرتك . اذ غدونا فى أقدار متماثلة ، إحيانا فى قداس المساء ، بينمـا تنحدر الشمس الى المغيب عند أقـدام شـجرة برتقـال .

خمينـا : (تقطع حبـل الحـديث مائلة قليـلا نحو دونيـا كونستانثا) لعلها فى البستان اللذى أهـداه اليه زوجى فى جبالة (١) .

خيرونيمـو : (يتابع الحديث بعد أن نظر الى خمينا) اسـائل نفسى : ألسنا نحلم أحيانا فى كنيسة سانتا ماريا (٢)

---

(١) جبالة : من ضواحى مدينة بلنسية . المترجم .

(٢) كنيسة سانتا ماريا : كانت فى الأصل المسجد الجامع فى بلنسـية ، وحولت كاتدرائية بمشورة الأسقف خيرونيمو . المترجم .

هذه (يضغط على كلماته ناظرا فى تلك الأثنـاء الى خمينا التى تؤمن على كلامه) التى تفضل فوهبنى مقرها ، وانى لأسال نفسى الم يكن رودريجو نفسه حلما .. وانه لم يوجد أبدا وأننا نحن قد ابتدعناه كما نبتدع آمالنا ، ام أن الأمر كله على النقيض ، وانه لم يمت ، وسـوف تفتح أبواب بلنسـيه ، ويعلو صوت يصيح : ان السيد يقترب ، ها قـد وصل السيد !! (تتلفت خمينا كما لو أن أحـدا سوف يظهر بالفعل ، ماريا تنشج) عندما مثل ذات صباح من أكتوبر أمام أسوار بلنسيه بمفرده ، دون موارد ، ودون أن ينتمى الى ملك ودون جيش ، ودون رايـة يحـارب تحتها ، كان الأمر يبـدو حماقة لو لم يكن من صنع البطـل . لو لم يكن البطل النـادر ، الأسـطورة التى تجسـد مجد اسـبانيا ، اعـرض عن ذكر العواقب ، شريفـا ، متواضعا ، أقوى من الملوك وخرج ضاربا فى الأرض يكسب قوته خـارج قشتالة ، ومنفيـا كان يتوج الملوك ويخلعهم بخنصره ، كان يلعب الشطرنج على رقعة الحقول الشاسعة ، لقد أرسله الاله القادر(١)، متقلدا حسامه ، بعد أن همس فى أذنيـه بكلمـة السر ، فليجعلنا القوى القادر أهلاً له .. (تتحرك

---

(١) فى الأصـل : سباوث ، وتعنى رب الجيوش ، وتستعمل للدلالة على الجبروت ، والقدرة المطلقة ، راجع :

Enciclopedia Universal Ilustrada Pag 1057. Tomo 52, Espasa Calpe 1926.

المترجم .

خمينا ، ولعله قد نفد صبرها ، فتحدث اصــواتا بجواهر حزامها الثمين الذى تتمنطق به) .

ماريـــــا : لا تحدثى ضوضاء .

خمينـــا : ان مهاميز الأسقف ايضا تحدث جلبة ، ومع ذلك لم أشــك .

خيرونيمــو : (كانه لم يسمع شيئا) ان اسبانيا التى ستظل ، بفضله ـ خالدة أبد الدهر لن تنســاه أبدا ، لن تنسى عينيه الوديعتين أو الغاضبتين ، صيحته فى المعركة ملامحه المهيبة ، وجاهته (يسقط من خمينا كتاب الصلوات لكن مينايا يلتقطه) .

خمينـــا : (مبتسمة) شكرا لك يا مينايا .

خيرونيمــو : ... لحيته النصرانية معقودة مثل قلبــه شوقــا للعودة الى قشتالة ... فمنذ عامين خلوا تركنــا وحدنا أشرف الرجــال ، ولد فى ضيعة صغيرة ، ومات هنا أميرا ، ابنتاه هما سيدتا ارجون ونبره ، وستحكم ذريته فى بقــاع كثيرة من الأرض ... ومع كل هذا ، ورغم كل ذلك ، فأنا أحيانا أسائل نفسى : ألسنا حالمين ... لكن . لا فانه فى يــوم ما عــاش ، وفى يــوم آخر مات : الرجــل الذى لا يعوض ، الوفى ، المصارع ، العادل ، قد عــاش ومات (يشير الى الشخصيات الأخرى) ها هى ذى الأدلة المتشحات بالســواد حدادا : دونيا خمينا الأرملة الوفية التى فصلت عنه كما ينتزع الظفر من اللحم ...

خمينـــــا : يا لها من قشعريرة !!

خيرونيمـو : وابنته دونيا ماريا رود يجث زوج رامون بيرنجير كونت برشلونة ، ومينايا البار انيث ابن اخيــه ، الشجاع العاقل ، وسيطه لدى الملك الفونســو ، ووكيله فى الزيجة الأولى غير الموفقة لبنات السيد .

ماريـــــا : (بلهجة جازمة) يا لها من نقلة غير مناسبة !!

خمينـــــا : انت الآن التى لا تدعينا نسمع .

خيرونيمـو : ها هى ذى الأدلة .. لن يجود الزمان بسيد مثله على الاطلاق ، شاء الاله أن ينتزعه منا لينصبه سيدا على ملائكتــه ، لقد ضــاقت هــذه الأرض به ، لا كرامة لنبى فى وطنه ! ليتنا جميعا نحظى بلقائه هنالك الى جوار (الله الحى القيوم) الى الأبد (١).

الجميــــع : (معــا ، مع أصــوات كثــيرة اخرى) آمــين . (يصلبون ، وتنهض الجاثيات ، يصاحب الضــوء خمينا وكونستانثا تجــاه جــانب من الجوانب ، ويختفى الآخرون ، بينمــا تتقــدم خمينــا بدون انقطاع ، وتزيح الحجاب) .

خمينـــــا : لقد أسهب الأسقف كثيرا ، انه بات يخرف .

كونستانثـا : لكنه ليس فى سن الخرف .

خمينـــــا : ظننت انه مع الحرارة ، ووجود الطرحة سيحدث التهاب (تكشف وجهها ، يغمر الضوء المكان تماما ،

---

(١) حذفت هنا جملة تتنافى والعقيدة الاسلامية ، واستعضت عنها بما بين الخاصرتين . المترجم .

نحن فى غرفة من غرف القصر ، يوجد بها كرسى ، ونافذة ، ومرآة يد ، وستارة ربما تشى بأن خلفها سرير خمينا) . عامان خلوا الآن .. أو قرنان ، لست أدرى .. ساعدينى يا كونستانثا .. اذا كان يعجبنى ان البس ملابس سابقة ، فلكى أخلعها فيما بعد ، وافكر كم هو حسن ان أكون بدونها .. (تشرع كونستانثا فى خلع ملابس خمينا مع التانى ، ملابس خمينا الداخلية عصرية تماما) عامان خلوا الآن .. والت كم مر عليك اليوم وأنت ارملة ؟

كونستانثا : (ضاحكة) اوه .. انني ارملة منذ ولدت يا صاحبتى ... انني اتذكر نفسى دائمنا فى تلك الملابس السوداء ، ظل معى زوجى اسبوعا واحدا فقط .

خمينا : (مبتسمة) مكث معى زوجى اكثر من هذا بقليل جدا .

كونستانثا : اليوم وانا فى القداس ، حاولت ان اتذكر كيف كانت عيناه . بيد انى لم استطع . لعل لون عينيه كان .. وحتى لم يقتل وهو يحارب المسلمين ، لقد مات حتف انفه بالحمى الشوكية كما يموت الحمقى .. تأملى ، اى حياة هذه .. عندما تزوجت أنت ، كنت انا ارملة عريقة .

خمينا : (بغتة تسرح بخاطرها) عندما تزوجت انا .. كان أيضا فى شهر يوليو فى مثل هذا الشهر . ـ

كونستانثا : لكن فى أوبيدو ! هناك ليست الحرارة شديدة مثل هنا ، ولا رائحة الماغنوليا (١) هذه التى تزكم .

خمينا : (ذاهبة تجاه النافذة الوهمية) هذه الحرارة لا بأس بها وذلك البحر .. (وكانت مدبرة فاقبلت بوجهها) لقد وقع عقد قرانى عمى الملك الفونسو ، والأميرتان البيرا واوراكا .. – ما كان أمكرهما من أمراتين يا الهى – وكذلك كثير من نبلاء ليون وقشتالة .. (وفى نغم مختلف ، كان الذى قالته سلفا كان فقط لتصل الى هذا) ومينايا .

كونستانثا : (متعمدة) ميناايا رجل جميل .

خمينا : (تظهر عدم الاكتراث) هل تعتقدين هذا ؟

كونستانثا : انه افضل من ذى قبل ، حين كان يافعا كنت ارى له وجه أرنب .

خمينا : كان لطيفا ان حضر هذه الذكرى السنوية الثانية (فى مودة) كلنا فى دور اليفاعة – يا كونستانثا – لنا وجه أرنب .. ونحن بالفعل أرانب ، انه الزمن الذى يجعل منا فى دورانه اشخاصا .

كونستانثا : اذن ، ففى حالتى التى انا عليها ، يجب ان اكون انضج شخصية من اى احد ، شخصية اكثر من

---

(١) شجر ينسب الى بدرو مافنول . عالم نبات فرنسى . وله رائحة نفاذة ، وزهر ابيض ، ويبلغ طول هذا الشجر من ١٥ – ٣٠ مترا . وهو ذو أصل أمريكى . كما يطلق على زهر هذا الشجر وثماره . المترجم .

اللازم .. انت مع ذلك انظرى ، اية فتـاة ناضجة انت ، انك ما يطلق عليه : امراة مكتملة وسوية .

خمينـــا : مكتملة ، ومحطمـة يا كونستانثـا ، مكتمـلة ، ومحطمة .. تذكرى ذلك اليوم الذى البستنى فيه ملابس العرس ، وانا فى الرابعـة عشرة لأزف الى السـيد .

كونستانثـا : (لكى تزيح عن خمينا سحابة الحزن اليسيرة) .
كان القماش من نسيج لندن الشفيف

وكان الثوب موشى

وعباءات محكمة التفصيل

وعقد فيه ثمانى صـور

ومعلق فيه صورة القديس ميجيل

وتسـاوى مدينـة جميلة

كل هذا من أجل يديك فحسب .

خمينـــا : يا لك من عبيطة !! (تضحك ثم تعود الى ذكرياتها) اربعة عشر عاما .. وفى العشرين وضعونى فى دير(1)

---

(1) هو دير قـديم يقع فى منطقـة برغش ، مشـهور ببنائه القـديم ، وبقديسيه الشهداء ، وبأمجاد السيد المعروفة ، وتحيط به هالة من الأساطير والروايات التاريخية ، وخرج من هـذا الدير السـيد القمبيطور منفيا بأمر الملك الفونسـو السـادس . وثمـة رواية مرجوحة يرويهـا قليـل من المؤرخين ان عبد الرحمن الثالث عرض مئتى راهب فى هـذا الدير على السيف ، لكنهـا مستبعدة من كثير من ثقاة المؤرخين . المترجم .

سان بدور دى كاردينيا ، واوكلوا الى توشنية ستائر المذبح ، وما أسرع ما قيل .. كنت اتذكر هنالك هاتيك التفاحات التى يضعونها ـ فى قريتى ـ فى التبن ، لكى يحفظوها ، تفاحات الشتاء : نظيفة حمراء ، لامعة ، محفوظة جيدا ، لكن لا احد يدرى لمن ، لا احد يدرى لأى فم ، ولا اى اسنان سوف تهوى عليها من الجوع .

كونستانشا : ايجوز لك أن تشتكى ، وانت التى تزوجت من رجل لا مثيل له .. زهرة قشتالة وزبدتها ، وقد سمعت بنفسك هذا من دون خيرونيمو ، لكم تمنيت لو اننى استطعت أن أجعل ذراعى اليسرى مع ذراعى اليمنى تطوق خاصرة السيد ، مرة واحدة فحسب .

خمينا : (تضحك) انت لا تخجلين .

كونستانشا : انا وكل النسوة بالطبع ، كلنا لئيمات (مداعبة خمينا) لكنك وحدك استأثرت به ، ايتها البخيلة ، الخائنة ، الكثيرة الشكوى .

خمينا : آه . دعينى يا كونستانشا ، لا تدغدغى مشاعرى .

كونستانشا : كل هذا الرجل الفحل ، لهذا اللحم الأبيض ، ولهذين الكتفين الناعمين المدورين ، يماثلان تلك التفاحات التى تحدثت عنها .

خمينا : واكثر من ذلك .

كونستانثا : ولهذين النهدين اللذين ليس للقديسة اجيدا (١) مثلهما .

خمينا : اسكتى ، ان لديك ذاكرة جيدة ، لأنك عجوز ارملة، ليس لديك حياء .. (جادة) ميناايا سيجىء اليوم ليتغدى هنا ، فليكن كل شيء معدا .. (تربط بين الأفكار بعضها ببعض والمرآة فى يدها) لقد نظرت الى نفسى هذا الصباح فى المرآة ، واعتقد انه لم يمر زمن طويل ، ما زالت عيناى هما هما ، ــ فيما اظن ــ .. (تجلس) لست ادري ، اقسم لك اننى اعود بذاكرتى الى الماضى ، ولا ادرى كيف وصلت الى هنا .. اظل جالسة فى انتظار الموت .

كونستانثا : آى !! لا تتحدثى عن هذه الأشياء ، وانتهى من خلع هذا الرداء .

خمينا : فى ايام آخر انظر الى المرآة ، واقول لنفسى : « هاتان العينان لمن ؟ كانت نظرتى فتية .. هل اكون انا خمينا نفسها فى زمنها الماضى ، ام اننى خمينا اخرى ولدت عجوزا ؟ .. لقد انتهى كل هذا الى الأبد ، انهم اعارونى هذه الحياة التى لا تروق لى ، وسلبوا حياتى انا ، وعندما يجىء

---

(١) القديسة اجيدا : شهيدة ايطالية من القرن الثالث . من جزيرة صقلية اصلا ، وهى ابنة نبلاء ، ويضرب بها المثل فى الجمال ، قضى عليها امير صقلية بنزع ثدييها ، وبعذابات اخرى الى ان ماتت سنة ٢٥١ م وهى شفيعة جزيرة مالطة ، ويحتفل بها هناك فى ٥ فبراير من كل عام . المترجم .

صاحبها ليستردها فسوف أعطيها له مرحبة ، وأقول له : انني أردها لك على حالتها التى أعطيتنى اياها ، لم أستعملها قط ، لم استعملها حتى يوما واحدا » .

خمينا : لن اكون اطلاقا بنت الأربعة العشر ربيعا النافذة .. يا لها من سماء !! يا لها من غابة !! يا له من نسيم ذهبى !! .

خمينا : لن اكون اطلاقا بنت الأربعة العشر ربيعا يا كونستانثا .. ولا بنت العشرين ، ولا بنت الأربعين ، حتى ولا بنت الأربعين .

كونستانثا : وانا لن اكون اطلاقا بنت الثمانية والستين ، انظرى كيف حالتى : مازلت أحيا ، ومازلت ابصبص ، بشعة المنظر . وجهى يماثل الليف ، نصف صلعاء ، عيناى كحبتى خوخ جاف .. لكنى اعيش يا خمينا، عيشى !! تقدمى ، وليذهب الموتى الى حيث ألقت، (تدخل ماريا) .

ماريا : (نشيطة ، حاسمة ، واثقة من نفسها ، واقعية كعادتها دائما) . امجنونة أنت يا أمى ، ماذا تصنعين عارية أمام النافذة ؟ .

خمينا : لست عارية يا ابنتى .. آه منكن يا بنات قطلونيه ، ما اسوا مزاجكن !! اعطنى الرداء الأبيض يا كونستانثا .

ماريا : الرداء الأبيض يا ماما ؟

خمينـــا : (ليست شديدة الانفعال حتى الآن) نعم . الرداء الأبيض يا ابنتي ... منذ اليوم يبدأ التخفف من الحداد الصارم .. عامان خلوا !!

ماريـــا : (عندما رات فوق منضـدة أو شيء شبيه بهـا حزاما من الجواهر) لقد اسـأت صنعـا بحمـل المجوهرات الى قداس الجناز .

خمينـــا : هذا ليس بمجوهرات ، (في احتقار) ان المجوهرات هي تاج الملكة ، الماس الأميرات ، خاتم الأسقف ، وما اشبه ذلك .

ماريـــا : وهذا ؟ (ممسكة بالحزام) اكثر جدا من ذلك . لا يوجد في كل بلاط ليون ما يناظره .

(كانما تخاطب نفسها) وهـذا ما يعضد كلامي اكثر .

خمينـــا : حزام السلطانة ! انه يساوي كل بلنسيه .. انه ثروة الملك القادر الحقيقية (١) . نعم . هي هدايا قيمة قدمها لي والدك حقـا كان سيشعر بالزهو لو رآني بها ، وانا ادخل معه من باب الكاتدرائيـة هذا الصباح ، كان يروق له دائما أن يراني في أبهى زينة .. (الى كونستانثا) اعتقد انه كان يعجبـه أن يراني بملابس أكثر (الى ماريـا) ابن عمـك

(١) يقال ان الجواهر هـذه كانت لزبيدة زوج هارون الرشيد ، ثم انتقلت الى حوزة القادر بن ذي النون لتصـل الى السيد ، وتتـابع رحلتهـا الى ايزابل الكاثوليكية . المترجم .

ميناياكان يختار ملابسي ، وكان يحملها الى حتى كاردينيا ، لكن اباك كان يدفع اثمانها ، هذا طبعا (فى نغمة مختلقة) هل تذكرين دير سان بدرو دى كاردينيا ؟

كونستانشا : (أثناء اعدادها للملابس) وكيف لا تتذكر ، حتى وان كانت بلهاء ، لقد كانت امرأة فى تلك الآونة ، وقد تزوجتا ـ هى واختها ـ من أميرى كاريون بعد عام ونصف من خروجهما من هنالك .

خمينـا : (مسرورة فى اعماقها) عجبا !! يا له من صباح أمضيتماه معا أنت والأسقف . عن هذه الزيجات لا داعى للحديث .. (تقترب من ماريا وترفع وجهها وتداعب ما بين حاجبيها) فى ذلك الحين لم تكن فى جبهتك هذه التجعيدة التى ظهرت لك هنا .

ماريـا : (مبتعدة) دعك من هذا يا ماما !

خمينـا : (تساورها الفكرة شيئا ما) ماذا حدث لك يا ماريا ؟ ألست سعيدة مع زوجك ؟

ماريـا : يا لها من اشياء تدور فى رأسك ! ما هى الصلة بين زوجى وبين جبهتى .. ، وماذا تعنين بسعادتى مع زوجى ؟ .

خمينـا : (الى كونستانشا) هيا يا كونستانشا ، اشرحى لها هذا ، بما أنها استمرت أسبوعا واحدا متزوجة كان لديها وقت طويل لتتخيل ماهية السعادة مع الزوج ، أما أنا فخلال انتظارى لزوجى خسرت

الحياة ، فلست أدرى ما هى .. ! (الى كونستانثا)
قولى لها .. قولى لها ...

كونستانثا : اذن .. هى . عندما ترينه يصل وتفتحين له .. لحمك (تضحك فى خبث) آه . بالمعنى المحمود ، فلا يذهب بك الظن بعيدا .. أن تشعرى انك شيء ملك له ، وانك ماؤه الذى يشربه ، أن تأخذى يده الضخمة بين يديك فيبدو الأمر لك وكأنك تهزين طفلك (خمينا ، مفكرة ، حالمة ، توافق بهز راسها) .

خمينا : ما اجمل هذا . اليس كذلك ؟

كونستانثا : أن ترى ردفيه الهزيلين ، وتدركى أنه عند حدودهما ينتهى العالم .. أن ترى نفسك فى عينيه صغيرة جدا ، فلا تودين أن تكبرى ، بل تودين أن يظل يحملك هكذا ، صغيرة جدا ، فى عينيه انى ذهب ...

ماريا : هذه اشياء قذرة !!

خمينا : انكم – يا ابنتى – متشددون جدا فى برشلونه ، مع اعترافكن بأنكن متفرنسات (تغير من نغمتها ، وفى جدية تقترب منها) . تمتعى ، واحظى ، وعضى على الحياة بنواجذك ، الحياة التى تعتقدين انها حياتك ، وليقتلوك قبل أن يسلبوها منك ، عيشى حياتك ، عيشى يا ماريا ، لقد أصبت المحز يا كونستانثا ، لأنه فى مثل سنى لن يحمد لك احد انك لم تتمتعى بحياتك .

ماريـــا : (فى برود) أنا لا أفهمك يا ماما .

كونستانشا : انظرى ، فالأمر واضح .

خمينـــا : حياتك لك وحدك ، فلا يفسـدها عليـك أحد ، لا ملك ولا رخ .. يكفى أن واحدة من العائلة قد ضحت بحياتها .

ماريـــا : (ساخرة) أنت ضحيت ؟ أية رغبـة لديك فى أن تصبحى ضحية !

خمينـــا : (فى صراحـة تامة) قولى لى يا ماريا ، هل انت عاشـقة ؟

ماريـــا : (فى تعمد) عاشقة من ؟ لزوجى ؟

خمينـــا : (فى شىء من الحيرة) .. حتى الآن . نعم .

ماريـــا : لم تكن لزيجتى اية علاقة بالحب .

خمينـــا : ولا بزيجتى انا كذلك ، ولا بزيجة احـد .. لكن أحيانـا توجـد بعض المصادفـات .. والنـاس يتعودون ...

ماريـــا : لنتحدث فى شىء آخر يا ماما ، اذا رأيت ذلك ، فابن عمى مينايا على وشك الوصول .

خمينـــا : (شاردة) أهـذا تسمينه حديثا عن شىء آخر ؟

ماريـــا : يجب أن تلبسى ملابسك .

خمينـــا : يا للهوس الذى يطرأ عليك ، اننى مرتدية ملابسى بالفعـل .

ماريـــا : انها غير مناسبة على الاطلاق يا ماما . انك دونيـا خمينا ارملة السـيد ، هل يرن هـذا الاسـم فى اذنيك يا اميرة بلنسية .

خمينـــا : وهل اكون غير ذلك لمجرد ارتدائى هـذا الرداء ؟ اننى اراه جميلا .

ماريـــا : (جاسمة) انك مجنونة يا ماما .

خمينـــا : (فى شيء من الوهم لكنها دقيقة جدا) ان الممثلين الذين يمثلون رواية دون أن تكون الأزياء او الأشياء أو الكلمات موائمة ، بدون كل هـذه الأمور التى يجب أن تتماشى والأحداث ، من الجائز أن يظهروا وكأنهم مجانين .. لكن المجانين أكثر منهم يا ابنتى اولئـك الذين يعتقـدون انهم يمثـلون التـاريخ الحقيقى ، التاريخ بمعناه الدقيق (تقترب منهـا أكثر) لقد وجدت نفسى دائمـا ضائعة فى هـذا التاريخ الضخم ، لقد فاض على التاريخ من كل الجوانب .. (فى خبث) ان الميت كان عظيما .. رايتنى مضطرة ان اقصر التاريخ على الحـدود المنزلية ، لست مجنونة ، وان كان هذا ما يبدو لك ، انني ـ ببساطة ـ ارملة صنعت حساباتها بكل دقة ، والغت المصروفات الزائدة ، وشدت على بطنها نطاقا (تشد حزام الرداء) . ان الحيـاة التى عشتها مع ابيك فضـلا عن انها لم تكن حياتى كانت غالية جدا ، لقد فضلت الا اواصـل العيش فوق طاقاتى .. هل فهمت ؟

(توتر يفاجىء ميناايا . حين دخوله استطاع ان يلتقط شيئا مما يسود الجو) .

منيـــايا : عفوا .. قالوا لى انكما بانتظارى .

خمينـــا : نعم يا مينايا ، نحن في انتظارك ، منذ عامين على الأقل . (تبسط كفها فيقبلها) هل لاحظت ذلك ؟ الآن اضـع خاتمين فى يدى اليمنى ، خاتمى وخاتم السيد ، عادة تتخذها الأرامل .. (الى ماريا) ، اصطحبى ابن عمـك يا ماريا ، فأنا لن أتأخـر . (عند الخروج مع ماريا ، مينايا يدير وجهـه فى توتر) لن أتأخر يا مينايا ، (يخرجـان ، تبدأ فى تغيير ملابسها ، وتتـابع الكلام دون أن ندرى اذا كان لمـا تقوله علاقة بما صنعت) على أن أسرع ، لا أستطيع اضاعة الوقت .. فعلى اية حال لم يبق لى زمن طويل ، احقا تعتقدين يا كونستانتشـا أن مينايا عنـدما كان فتى كان له وجـه أرنب ؟ . (الضوء الذى كان مسلطا فحسب على الجـانب الذى خـرج منه مينايـا ، وبقيت فيه خمينـا وكونستانتشا يتجـه الى الجانب المقـابل من حيث يدخلون الى المشهد ، ماريا ومينايا يتجاذبان أطراف الحديث) .

ماريـــا : ان ظلال ابى ما زالت حتى الآن تحمى بلنسية ، ما زال السيد بعد موته يغنم وقائع .. بعد قليل سيصبح كل شىء مختلفـا ، اظن انك قـد لمحت هذا .. لقد فعل زوجى كل ما فى وسعه .

مينـــايا : (فى سخريـة ، ربما) رامون بيرنجير كان دائمـا صديقا لا باس به ، ومن المنطقى أن يتطلع الى ضم بلنسية الى ولايته .

ماريـــا : لسنا بصـدد هـذا .. ما بين حين وآخر يضيق المرابطون الخناق ، وعبء الدفـاع عن المدينـة يقع على كاهل الملك الفونسو ، وبما انك ستذهب اليه اليوم ، فأخبره بهـذا النبأ حين وصـولك ، فانه يسره أن يلقب بالامبراطور ، فليسلك اذن مسلك امبراطوره ، لأن أمى وحدها ليس فى وسعها الدفاع عن المدينـة ، فضـلا عن ان السياسـة لا تعنيها .

مينـــايا : (فى شىء من الدعابة) أما انت فنعم ؟

ماريـــا : اننى من جيل آخر ، اننى ابنة السيد ، يجرى دمه فى عروقى ، الى جانب اننى اساعد زوجى فى عمـله .

مينـــايا : حبـا ؟

ماريـــا : فى هذا القصر يتحدث الجميع عن الحب .. ما اكثر الأشياء التى نطلق عليها هـذا الاسـم .. أو ربما ما أقلها !! .. (تدخل كونستانثا حاملة صينية القهوة ، وتضعها فوق مائدة من الطراز العربى)، قل لى ما هو الحب . هل هو رؤية العـالم من خلال عيون أخرى ؟ رؤية البحر ، والشعور بعدم الكمال ؟ رؤية شىء جميل والرغبة فى اقتسامه ؟ هذه حماقات . ان الحاجة الى شخص آخر لكى

تستمر حيا نوع من الاستخذاء .. يحتاج الحب الى فراغ كثير ، ولم يكن لدى أبدا هذا الوقت .

مينــــايا : اما أمك ، فنعم ، كان لديها خلال سنوات طويلة فى سان بدرو دى كاردينيا .

ماريـــــا : (حادة ومقاطعة) أمى من جيل عتيق ، أما النسوة من طرازى فلديهن ما يشغلهن عن الغرام ، الغرام مهنة الخدم (كونستانثا تشدد من نقراتها) هو عزاء الأرقاء .. الحب ليس ضروريا للأمور الجسام ، لتعول منزلا ، أو تحافظ على اسم أو مملكة ، او تترك وارثا .. كل هذا فى وسعنا صنعه دون حب ، وحتى أقول لك انه بدون الحب نصنع كل هذا ببساطة اكثر .

كونستانثا : (خارجة) يا لها من أشياء ينبغى سماعها .

مينــــايا : (مبتسما لما قالته كونستانثا) لقد ظللت دائما عاشقة لأبيك ، اليس صحيحا ؟ .

ماريـــــا : أجل . على نحو ما ، وهل توجد امراة تستطيع عدم الوقوع فى غرام السيد ؟ (من الداخل ، تظهر خمينا ، ولا يحس بها أحد) .

مينــــايا : ربما زوجته .. (ماريا متحملة نظرة مينايا) .

ماريـــــا : (مقاطعة) لا أعتقد ان الملك الفونسو السادس قد بعث بك الى هنا للحديث فى مثل هذه الشئون .

خمينـــــا : (تتقدم) ليس معك على الأقل ، بكل تأكيد ، .. لقد امرت باحضار القهوة الى هنا ، فالجو رطب ،

والطقس اليوم خانق (تجلس على كرسى هزاز) وسيكون عاصفا .

ماريا : (متعمدة) بالطبع سيكون عاصفا ، وحتى قبل الوقت الذى تظنين .

خمينا : ماريا .

ماريا : (عندما تملأ لها امها فنجانها من القهوة) انا لا اتناول القهوة .

خمينا : (تملأ فنجان مينايا) قهوة فقط يا مينايا ؟

مينايا : مع قليل من اللبن ، (بينما هى تصب اللبن ، هو يملأ لها فنجانها من القهوة) تريدين سكرا ؟ .

خمينا : لا . السكر يزيد فى الوزن .. كل شىء بوقته مرهون . اظن ان التوراة قد ذكرت هذا فى سفر الجامعة .. فثمة وقت معين للقهوة باللبن والسكر الكثير ، ووقت آخر للقهوة مع قليل من اللبن .. أما الأرامل فعليهن ان يتناولن القهوة دون سكر ودون لبن ، فانها تناسب الحداد .

ماريا : (فى حنق) انا لا اتناول القهوة .

خمينا : لقد سمعناه . انك شديدة التسلط . اظن ان ثمة وقتا كذلك لا تشرب فيه القهوة ، سوف اراجع هذا فى التوراة .. (تتأرجح قليلا ثم تشرب) قهوة جيدة ، اليس كذلك ؟ (مينايا يؤمن على كلامها فى ابتسام) فنجانا آخر ؟

ماريا : (متوفزة) ماما . انك تعلمين جيدا أن مزدلى خيرة

قواد المرابطين قادم لحصار بلنسية ، وأنت هنا خالعة ملابس الحداد ، تروحين بالمروحة ، وتتلهين بأمور الضيافة ، وتزجين الوقت فى الحديث . انه لشىء عجاب !!

خمينا : لا تكونى ثقيلة الظل يا ابنتى ، تثيرين الرعب بالاشاعات ؛ فهذا اسوأ شىء فى العالم .. لأن مزدلى هذا لا يستطيع أن يظل ساكنا مع احتدام القيظ ، فانها رغبات تثور ، ماذا تريدين ؟ ان اصعد الأسوار ، واتوثب مثل قردة ، واصاب بضربة شمس ، أو البس التاج بقوة ، واتلقى الطعنات من كل ما يظهر امامى .. عندما هلك أبوك كان على ــ حسب ما ترين ــ ان احترق بالنار مثل البوذيين .. (تنهض ماريا) . والآن وانا هادئة اتناول القهوة بدون لبن ــ اى سخف هذا ! تريدين منى أن اتشعث . واضرم معركة فى كل الدروب .. لقد ضجرت الآن ــ يا ماريا ــ من المسلمين والنصارى على السواء ، دعينى فى سلام ، على الأقل ساعة القيلولة ، عجبا !! قليلا من الجدية !!

ماريا : استأذنكم فى الانصراف .

خمينا : ليس مع اذننا فحسب ، بل مع تصفيقنا ايضا (تخرج ماريا) لا يمكن ان ننكر أن ماريا منذ صغرها لها خصلة غريبة .

مينايا : ما هذه الخصلة ؟

خمينــــــا : أنها تثير انفعالى ، حتى أخرج عن اطارى ، حسنا، فى النهاية بوسعنا أن نتناول قدحا من القهوة دون أن نعتمد على التاريخ .. (تشرب ببطء) ان القهوة لذيذة حتى انها تعطينى انطباعا بأننى اخون ذكرى شخص ما .. (مرة أخرى فى سطحية) حتى انها تدفعنى الى وضـع قليل من السكر ، لا أقـول لك كثيرا (تضـع السـكر ، تشرب متأرجحة) .

مينــــــايا : (مسرورا بها) دائما تدهشيننى .

خمينــــــا : (فى غنج) انـا ؟

مينــــــايا : يدهشنى منك دائما عشقك للحياة ، براعتك فى ارتشاف رحيـق كل شىء : قرنفلة ، حرارة ، مروحة ، قطعة سكر .

خمينــــــا : نعم . اعرف مذاق كل شىء ، مذاق مص عظمى ، علمتنى الحياة الاستفادة منه محطمـا .. وعلى خلاف ما تظنون لم يمنحنى هـذا شيئا كثيرا ، عظما هشيما يكاد يخلو من اللحم .. أقول يكاد!! انه بدون لحم على الاطلاق . لكن . هـذا ، نعم ، جوع شديد ، غير انى أفضله ، بعض الناس مثل ابنتى ماريا لا تعطيهم الحيـاة سـوى فاتحـات شـهية فقط ، وهـذا يتلف المعـدة ، يحيون ، يتناولون بدون توقف زيتـا من كبد السـمك ، ليفتح شهيتهم للطعـام ، وعندما تنفتح شهيتهم يكون الطعام قد تعفن . فى النهاية : ليس الوقت الآن ملائما ، اننى أعرف مص عظمى .

مينـــــايا : بعض الناس ليس له عظم على الاطلاق ليمصه .

خمينــــا : (متدللة ، فاتنة) كذب يا مينايا ، كذب ، أيهــا العانس .. ليس فى وســعك خداعى .. كلانا يعى أن المهنــة التى خولتها لك الحيــاة كانت فى غاية الراحة : الاشتياق ، تحلم دائما بأحد ، حين عرفته انتقل الى حوزة شخص آخر ، اليس صحيحا ؟ وجود مثل أعلى بعيد المنال .

مينـــــايا : وهل يبدو لك هذا مريحا ؟

خمينــــا : آه . نعم . اعداد العشاء للآخرين شيء مريح ، أكثر من العشـــاء « عشـــاء الخـــدم » كما تقول « المساكين ، يتناولون العشاء متأخرا فى غير اوانه، بعد تقديم العشاء للسادة ، مع اكل بارد وعيف فى المعدة » .. لكنه افضل ، لقد ظلوا يحلمون بالعشاء او بطيب المقام حينما يقوم الآخرون بخدمتهم ، اليس صحيحــا .. آه من أولئــك الذين تتحقق رغباتهم ، ان الخير هو أن ترغب ، أن تشتاق .. آه لو تعلم اية رائحة تفوح حين يتعفن مثل اعلى ، لو تعلم كيف تكون الاصابة بالتخمة يا مينايا (أكثر تصنعا) فى مسرحيــة الحياة الحمقاء التى تقف على فحواها فقط فى النهاية ، ليس ثمــة غير دورين رائعين فى الواقع : دور السيد ، دور البطل الذى هو فوق كل شيء ، يتجاهل قيمة الأشياء ، وتدور حوله حرب عظمى مظفرة أياما وليالى . (متنهدة)، بالنسبة لهم كل شيء عظيم وسعيد ، مخضب بالدم، خطير ، لكنه سعيد ، لأن الحرب حربهم هم ، حربهم

التى اخترعوها ، والتى يحملوننا اليها عميانا مثل الحصان المعصوب العينين فى ساحة مصارعة الثيران .

مينايا : (لكى يهبط بها اليه) والدور الرائع الآخر ؟

خمينا : هو دور مينايا ، الصديق الحميم ، القائد الجسور، المطيع ، الذي يدرك مكانه جيدا ـ فى الصف الثانى بطبيعة الحال ، لكنه رائع أيضا ، العاشق الذى يتنازل ـ فى رومانسية ـ عما بين يديه مقدما ، مدركا أن التعلق به غير مجد .. (مختتمة كلامها)، الراضى بقدره ؟ الجبان والبطل فى واقع الأمر : هذان هما الدوران الرائعان .

مينايا : (بصوت بح من التأثر) أتعتقدين انى جبان يا خمينا ؟

خمينا : مع المسلمين ، لا .. لكن هذا ليس عسيرا ، فان الفرس يحملك ، أما معى ، فنعم .. يا مينايا ، لماذا لا نتكلم بصراحة ؟

مينايا : الآن ؟ لماذا ؟

خمينا : لقد ظللت طوال حياتك تسأل هذا السؤال .. « الآن ؟ ، لماذا ؟ » . هذا هو الذى ضيعك .. ان جبنك يكمن فى هذه النقطة ، لكى تحيا لابد من الشجاعة أكثر من الخضوع للقدر .

مينايا : ومن اجل الرفض ، الا نحتاج الى الشجاعة ؟

خمينا : (فى قسوة بعض الشىء) ان الرفض يكون عندما يملك الانسان شيئا ، أما انت فلم يكن لديك شىء.

مينــــايا : فى الامكان التخلى حتى عن امكان ان نمتلك شيئا ، حتى ان نذهب الى ابعد الحدود .

خمينــــا : (فى ارتجافة) هل تعلم عن أى شىء اتحدث ؟

مينــــايا : نعم ، يا خمينا .

خمينــــا : انني أتحدث عن الحب يا مينايا .

مينــــايا : ادرى ذلك يا خمينا .

خمينــــا : (تبدأ فى سلسلة شكاواها العذبة) ان السيد قد بعث بى وبهداياه معك الى دير سان بدرو دى كاردينيا ، ولم يذهب هو اطلاقا .

مينــــايا : انه كان منفيا .

خمينــــا : وقد جعلك السيد وكيلا شرعيا فى الزيجة الأولى لابنتيه : كريستينا وماريا .

مينــــايا : انه لم يكن سعيدا بهاتين الزيجتين .

خمينــــا : (واثبة) بطبيعة الحال كان سعيدا ، مسرورا ، لكن الذى حدث هو انه لم يكن واثقا من الملك الفونسو ، وفضل أن يضعك فى المواجهة .. (تعود الى النغمة السابقة) لقد اناط بك السيد مهمة احضارى من برغش الى بلنسية .. استغرقت الرحلة خمسة عشر يوما طوالا ، على متن الحصان ، أتذكر ؟ . من قشتالة الى « مدينة سالم » . ولعبة العصى على ضفاف نهر « الخالون » (١) .

---

(١) نهر خالون أوشلون يخترق سورية وسرقسطة ويصب فى نهر ابرو . المترجم .

مينـــايا : وبعد ذلك نخص الهماز عبر « أربوخويلو » مرورا بحقول « تاراتز » ، وبلغنا مخلة مولينا .. أتذكرين مولينا ؟ أتذكرين الأمير ابن غلبون ؟

خمينـــا : ابن غلبون المسلم ، الذي كان يحدق فيك ، وبعد ذلك فى ، ثم يبتسم ، وأنت يا مينايا كنت تبتسم ، وانا كنت ابتسم كذلك يا مينايا دون أن نعرف لماذا على وجه الدقة ، حتى وصلنا الى وديان الشرق الجنوبى الخضراء هذه .. اياما طوالا قضيناها معا ، صامتين ، فى صمت شديد .

مينـــايا : لقد منحنى السيد كل ثقته ، وما كان فى وسعى أن اخدعه .

خمينـــا : ولهذا فقد منحك اياها ، إذ كان يقيدك من رجليك ويديـك .

مينـــايا : لكن هل تعتقدين انه كان يدرى ؟

خمينـــا : (فى حنان كمن يريد اكتشاف السر) يدرى ماذا ؟ انك كنت عاشـقا لى ؟ بالطبـع كان يدرى ذلك بوضـوح ، وأنـا ، والملك كذلك ، والمسـلم ابن غلبون ، والحصان باتيبكا ، ورئيس دير كاردينيا ، اى .. ومن ثم إتهمـك الآن ، وبأنـك لم تقـله لى قبـلا .

مينـــايا : كنت تدرينه ، ولكن كنت تودين أن أقوله لك .

خمينـــا : بطبيعة الحال . ماذا تعتقد فينا ـ نحن النساء ـ ؟

ان الشيء الوحيد الذي نود أن يقال لنا هو ذلك الشيء الذى نعلمه بالفعل ، أما الشيء الذى لا نعلمه فهو ذلك الذى لا يعنينا (فى هذا المشهد هى صادقة ، متأرجحة برغم متابعة لعبة الأخذ والرد) .

كنت احتاج كثيرا فى كاردينيا ، فى تلك العزلة ان اعلم أن احدا كان يحلم بأن اكون له .. ليس زوجى ، لا ؟ فاننى كنت له .. بالنسبة لك ولى يا مينايا ، فان التاريخ قد أصاب منا مقتلا فشطرنا .

مينايا : فى تلك الأمسية فى موليتا عندما تعشيتما مع ابن غلبون كنت ترتدين ثوبا ازرق .

خمينا : وانت كنت ترتدى ثوبا رماديا .

مينايا : وقد أهديتنى ميدالية من شانت ياقب كان اعطاها لك رئيس دير كاردينيا .

خمينا : (تحاول ان تتفادى الآن الاعتراف التام الذى اثارته) لا تحدثنى عن كاردينيا ، فطوال عشرين سنة تقريبا ، الشيء الوحيد الذى صنعته هو الاستماع الى المواعظ الكنسية ، والانتظار .. حسنا ، والأكل .. وبالأخص الأكل . ثلاث مرات أو اربع كل يوم .. وقد كانت أياما طويلة ، يا للاشمئزاز وأنا أفكر الآن ، ما اكثر ما اكلت !!

مينايا : مازلت حتى الآن احتفظ بالميدالية ، انظرى .

خمينـــــا : (تشيح ببصرها نحو النافذة) لقد غامت الدنيـــا تماما. علينا ان نحفظ المراوح حتى العام القادم. . وربما لن نكون هنا ؟ لأن هؤلاء المسلمين .

مينـــــايا : (غير متوقف) كنت أتذكرك دائما وانت تغنين تحت شجرة الجوز ، فى ظلال القمر ، بعد هذاك العشاء.

خمينـــــا : (فى حنجرتها ارتعاشة) اترى ؟ ان ما اقوله : لم اصنع شيئا سوى تناول الطعام .

مينـــــايا : (بصــوت خفيض) والغنـــاء .. ماذا كانت تقول كلمات الأغنية ؟

خمينـــــا : (تذعن للتأثر) .

راجلة ، تمضى تنهداتى

فى طريق فــلاحى .

قبل أن يصلوا هم ،

سأصــل انــا

لكن قلبى يطير بأجنحة .

وتنهداتى تمضى راجلة

فدع البــاب مفتوحــا

ودع النفس متطلعــة .

مينـــــايا : قبل أن يصلو هم

سأصــل انــا

خمينـــــا : لعلى اكون قد مت .

حينما تعود لرؤيتى

الاثنـــان : قلبى يطير بأجنحة

وتنهداتى تمضى راجلة . (وقفة)

مينـــــايا : فى تلك الآونة كنت تغنين وانت مبتسمة .

خمينـــــا : (وقد انتهت من تجفيف دمعة) اين ذهب المطـاف بتلك الأغنية. .اين انتهى المطاف بهاتيك الأمسية. . الآن ، عندما ابتسم يمتلىء وجهى بالتجاعيـد ، ولهذا لا ابتسم ، لهذا ، ولأننى ليس لدى باعث على الابتسام ، قريبا سأبلغ الأربعين يا مينايا .

مينـــــايا : انك بلغتها فعلا يا خمينا . (تضحك خمينا لأنه اكتشفها) لكنك تماما مثل ذلك اليوم الذى رأيتك فيه هابطـة من سلالم أسرة كونت اوبيدو بثوب الزفـاف ، وعرفت ــ بغتـة ــ اننى قد فقدت حيـاتى ، كنت تهبطين سلالم اسرة كونت دى اوبيـدو فى يوم زفـافك ، وما كنت تدرين من رودريجو ، حتى ذلك الحين لم تكونى تعرفينه ، وكانت عيناك تثبان من وجه الى وجه ، من مدعو الى آخر . . وتوقفتـا مليا عندى . . ربمـا كنت تعتقدين اننى رودريجو .

خمينـــــا : نعم ، يا مينايا .

مينـــــايا : فى ذلك الحين تقدم احدهم ، ووقف بيننا ، ولم اعد اراك ، انه كان رودريجو الذى سـاعدك فى

نزول آخر درجة فى السلم ، كان قدرا مقدورا ، وأى قدر مهما كان غريبا يتحدد فى لحظة واحدة ، لحظة يعرف فيها المرء الى الأبد من هو . وانا منذ ذلك اليوم علمت انني لن اكون ابدا — على الاطلاق — سوى عاشق خمينا الأمين . وأن حياتي كلها أن اكون فى المحل الثانى .. لقد صرعت آلافا من العرب ، وقد عم الدم مرفقى ، وكنت الساعد الأيمن للسيد القمبيطور ؛ دافعت عن مملكة ، لظموا فى الأشعار البطولية ، خططت لمئات المعارك ، أكلت — مثلك — مليون مرة ، أما الشيء الوحيد الذي لم يقولوه عنى ، فهو اهم شيء ، هو انا : الصموت ، العاشق الصموت لخمينا دياث .

خمينـــا : (مغمغمة) شكرا يا مينايا .

مينـــايا : ما زالت عينـاك كما كانتـا من قبل فى غضـارة الشباب .

خمينـــا : (فى ابتسامة مقتضبة) شكرا .

مينـــايا : وابتسامتك هي ابتسامة الأمس تماما .. افكر فى سنواتك فى كاردينيا بعيدا عن السيد ، وحدك ، لست لأحد ، لي انا ، تقريبا .. افكر عندما صحبتك حتي بلنسية ، سعيدا بامتلاكى قلبين : قلب فى الشمال (مشيرا اليها) وآخر فى يمينك ، قلبى انـا ، تعيسا ان اصحبك باسم زوجك .. كنت سعيدا فحسب أن اراك قريبة منى .. والآن اذ اجدنى اكثر حيرة مما كان السيد حيا ، السيد

الذى أقصانى عن كل ما أحب (بصوت خفيض جدا) ما هو القدر لى مستقبلاً فى حياتى ؟

خمينــــا : (محاولة السيطرة على الموقف) لابد من انتهــاب الحياة ، يا ميناايا .. مثل انتهاب الحصون . هذا هو الذى ألح عليه مع ابنتى .

ميـنــــايا : (مهزوما) انهمــا ذواتا عشرين ربيعا ، لكن أنت وأنا لن تكون لنا هذه السن من جديد أبدا .

خمينــــا : (مثل الصدى) من جديد أبدا .

ميـنــــايا : هل تدركين عن أى شىء أتحدث ؟

خمينــــا : نعم ، يا مينايا .

ميـنــــايا : عن الحب يا خمينا .

خمينــــا : نعم ، يا مينايا .

ميـنــــايا : عن الحب .. قبل أن أمضى ، أنت تمكثين هنا ، قريبــة من البحر . أما أنــا فأعود الى صحراء قشتالة .. الي الأبد ، يا خمينا (فى جهد) لقد بردت القهوة ، وبين الاثنين يقف السيد ـ كالمعتاد ـ يا خمينــا .

خمينــــا : (مهزومة) لقد بردت القهوة تماما .

ميـنــــايا : وداعــا . كلانــا كان يدرى أننى قــدمت اليوم لتوديعك ؛ اننا نلتقى اليوم للمرة الأخيرة .

خمينــــا : (تنهض نحو النافذة ، محاولة كظم تأثرها) بدأت تمطر .. أم انهما عيناى .. ؟

مينـــــايا : (قريبا منها) وداعــا .

خمينــــــا : (لتبقى عليه ثانية واحدة) ما اروع رائحة الأرض (متواجهين يقولان بعينيهما ما لا يجرؤان على قوله بلسانيهما) أتذكر المطر الذى انهمر علينـا عنـد بوابات برغش ، وقد أعرتنى قبعتك ، وظلت تثير الأسى عند رؤيتها .

مينــــايا : كانت هذه أول مرة البسها فى ذلك اليوم .

خمينــــــا : (فى توتر) اشعر بهاجس يدعونى الى نزع حذائى ، والخروج الى المطر .

مينــــايا : هاجس . ثمة اشياء لا تستطيع ارملة السيد أن تصنعها يا خمينا ، فضــلا عن أنك زوج السيد . . وداعــا . (تبسط خمينــا كفها اليمنى ، بغتــة ، عندما كان مينايا يتهيأ لتقبيلها) .

خمينــــــا : لا ، هذه الكف لا ، تلك افضل (تبسط له راحتها اليسرى) هذه لا تحمل خاتما .

مينــــايا : وداعا . (فى طريقه للخروج ، كل واحد منهمــا يخرج من جانب مختلف ، وبدون تحول يبدأ سماع قعقعة أسلحة ، وأوامر ، واستعدادات حربيــة ، وصوت خمينا يخطب فى القوات) .

صوت خمينا : ايها الجنود . . ابنــائى : من القصر ترون مدينــة بلنسية ممتدة وفياضــة مثل نهر ذهبى (تدخــل كونستانثا ، تشعل قنديلا أمام صورة ، وتصــلى جاثية) ، واذا أعدتم كرة الطرف ترون تموجــات البحر الذى حلمت به قشتالة ، ترون البســاتين

الخضراء ، وارفة ، تتمايل ، ابسطوا ايديكم شاكرين الله على نعمائه (تدخل خمينا وهى متشحة برداء قاتم ، فضفاض ، ترتجف) .

خمينا : لن نتقدم بالكلمات خطوة واحدة ، حول بلنسية تنتصب خمسمائة خيمة من خيام الأعداء ، هذا ليس كلمات .. ليس لدينا زاد ولا خيول ، ولا رجال ، ولا ماء تقريبا ، وهذا ليس كلمات أيضا .

صوت خمينا : كل ما تملكونه أمامكم اليوم ، لقد ظفرتم ببلنسية بجهادكم العظيم ، فلا تدعوها أبدا ، ومن هناك ، بعيدا ، من وراء البحر تأتى ثروات جديدة تبحث عنكم ، ومن برجي هذا أريد أن أرى كيف تستولون عليها ، فى يد مزدلى ثرواتكم ، وجهاز عرس بناتكم ، فلا تخشوهم كل شىء سوف يؤول لصالحكم ، هاته الطنابير التى تستمعون اليها ، ستأتون بها غدا الى بلنسية ، تغنون على ايقاعها ، وسوف نقدمها الى الأسقف خيرونيمو لكى يعلقها فى كنيسة سانتا ماريا .

خمينا : فى تلك المناسبات يقال عادة : « لن ينقذنا من هذا سوى معجزة فقط » ، وتتحقق المعجزة ، أو على الأقل ، هذا ما يرويه التاريخ بعد قرن من الزمان ، لقد عشت زمنا طويلا بين الرهبان ، لكى أعتقد فى هذه المعجزات .

صوت خمينا : (خارج المشهد) . النفير ، النفير !! باسم الله ، وباسم شانت ياقب على بابييكا الفرس الذى كان

المعتمد ، لا يزال حتى الآن يمتطيه السيد رودريجو بينكم ، وفى قربوسه فى شكل صليب يحمل سيفيه: تيثونا الذى غنمه من الملك ابى بكر ، وكولادا الذى ربحه من رامون القطلوني (يعلو الضجيج) ها هم المسلمون يقتربون من جانب البستان . تقدموا !! أولى بكم أن تقتلوهم قبل أن يستولوا على أقواتنا . (قرع ناقوس) يا جنود روي دياث ، اخرجوا من المدينة عبر أبراج كوارتى ، فليحفظكم الرب سأظل هنا أدعو بالنصر (تختفى خمينا) تقدموا !! ، تقدموا !! .

خمينـــــا : هيا بنا يا كونستانثا ، دعى الآن صلواتك ، واعدى شيئاً للعشاء (تنهض كونستانثا ، وتصلب) . الله اعلم بما ينبغى ان يفعله على اى حال ، ولا اعتقد انه سوف يغير مشيئته ، لأنك طلبت هذا منه .

كونستانثـا : اذن . فليقبضـــنا الله على المسيحيـــة . (تخـــرج كونستانثا) .

صوت خمينا : (خارج المشهد) . اننى وحيدة ، الجو بارد ، وانا وحيدة ، ارى ظـــلالا ترتجف فى الشرفـــة .. تفوح فى الجو رائحة الدم والبحر ، لقد هرمت ، وأعلم ألا فائدة ترتجى منى .. (أمام مرآة) انت خمينا هذه ام انك ـ ربما ـ لست ســـوى هـــذه الصورة السوداء التى يدعونهـا أرملة الســـيد ؟ ... من الضرورى أن انسى ، أن أهرب من هنا ، أن اغمض عينى وافـكر فى بحر استورياش ذاك قبل زفافى ، عندما كنت انا فى ذلك الحين انا ..

النسيان !! ياله من مستحيل !! (بسبب الضجات) فى الحرب ، نعم ، بين الجلبة ، ومثار النقع واللغط من السهل أن يكون الشخص غير الشخص . أما فى الوحدة !!

خمينا : من اللازم أن تنسى السيد يا خمينا دياث ، من الحتم نسيانه من أجل انقاذ نفسك . (تذهب نحو القنديل ، وتطفئه بنفخة واحدة) يوافق الاطفاء ضجيج أشد ، وصمت مباغت ، وعندما يعود الضوء تلتفت خمينا نحو الشخصيات التى دخلت المشهد : الفونسو السادس جالسا ، خلفه مينايا ، وعلى مقربة منهما ماريا وكونستانثا ، والى الأمام فى الجانب الآخر من خمينا الأسقف الذى انشأ يرحب بالفونسو) .

خيرونيمو : الشكر للرب ، رب الجيوش ، ولكم يا جلالة الامبراطور الفونسو ، لأنه بوصولكم المعجزة فككتم وثاق المدينة ، وفرت الى البحر شراذم مزدلى .

الفونسو : لم يفروا ، ايها الأسقف .

خمينا : حدثه بصوت عال ، فانه أصم .

الفونسو : (بصوت أشد) لقد انسحبوا فى نظام محكم .

خيرونيمو : لكنهم انسحبوا على كل حال .

الفونسو : سيعودون عندما يعلمون ان وصولى المعجزة قمت به وحدى ، سيعودون .

خيرونيمو : لابد أن نأخذ فى الاعتبار القوة الروحية يا جلالة الامبراطور .

الفونسو : نعم . هذا ، بلا ريب ، لكن بصورة أقل .. فمع كسب المعارك ، لابد من اعمال الفكر ، لكن فيما بعد .

خيرونيمو : سيدى ، اننى منذ قريب كنت شابا .

الفونسو : (بصوت خفيض) من كان يحسب ذلك . (تبسم خمينا ناظرة الى مينايا الذى يدير وجهه الى الناحية الأخرى) .

خيرونيمو : لقد حاربت فى صحبة السيد القمبيطور فى حصار المرية ومربيطر ، كنا فئة قليلة ، بيد انا انتصرنا .

الفونسو : واضح .. كنتم فئة قليلة .. مع السيد . السيد كان وحده جيشا .

خيرونيمو : (لم يكن قد سمع) اننى من ديرى فى بيريجورد قدمت لقتل المسلمين . فى بداية كل معركة كنت اعظ هكذا : « من يقتل اليوم مصارعا وجها لوجه اعفو عن سيئاته : يستقبل الله روحه ، ولحضرتكم ايها السيد دون رود ريجو الذى فى ساعة مباركة تقلدتم سيفكم ، اطالبكم أن تمنحونى هبة مقابل قداس « الثالوث المقدس » الذى رتلته اليوم : ان تخولونى أن اكون البادىء بالهجوم ، اكون أول من يصيب المسلمين بالجراح ، أريد أن أمجد اسلحتى ، والطائفة الدينية التى أعزى اليها » . وكان السيد يقول : لك ما طلبت ! .

الفونسو : يا خمينا ، بما أنك تعرفين هذا الرجل منذ زمن ، فلماذا لا تطلبين منه أن يكف عن الكلام ؟ أم انه يرى وضع بلنسيه سيئا فيشرئب الى منصب طليطلة ؟

خمينـا : (مخترقة المشهد) يا خيرونيمو . لقد رحبت بالملك ، فاعمل على الا تزعجه ، ان الفونسو ملك عصرى الا ترى ؟ لا يبغى شيئا من الطنابير ، لو طرق التاريخ بابه لارتدى مسرعا ثيابه ، وفتح الباب ، لكن فى أثناء ذلك .. هيه ؟ انه فى زى مدنى .. وهذه المجموعة تجمعها روابط أسرية : فالفونسو عمى ، وماريا ابنتى ، وزوج ابنتى ليس موجودا حيث ذهب لتوه الى برشلونة على راس قواته : لطيف جدا كما تعلم ـ وميناليا هو ابن اخى ـ ابن اخى لزوجى ، مفهوم ، وكونستانثا بمثابة جدة الجميع .. انت رجل شجاع ، اصم ، ودود ، فرنسى ، أسقف : كل هذا يسير حسب طبيعتك ، بطبيعة الحال ، ماذا تود اكثر من هذا ؟ . حاول هذا المساء ـ كما قلنا ـ ان تكون قسيس الأسرة الأول ، ليس الا ، مفهوم ؟ .. حسنا ، لقد اجتمع هذا الفريق العائلى اللطيف لكى يقرر ماذا يعمل لضيعة لى اسمها : بلنسية .

ماريـا : ضيعتك انت كلها ، أليس كذلك يا ماما ؟ .

خمينـا : اظن أن زوجك (حركة تشى بالانصراف) قد تنازل لتوه عن حقوقك ، وأن زوج أختك راميرو كونت نبرة ، لم يأخذ على عاتقه حتى أن يستحم فى نهر كويرا ، فلنواصل حديثنا .

الفونسو : لو أذنت لى يا خمينا .

خمينا : (متلطفة) عفوا .

الفونسو : لقد جئت الى هنا لكى تدعى لى الأمر ، اى لكى نضم مملكة بلنسية الى عرش ليون ، وبالتالى اخشى أن نتعرض للحديث مرة أخرى عن السيد .

ماريا : لقد غزا ابى بلنسية لنفسه ولذريته ، وانت انما نقيته من ممالكك .

الفونسو : (يعود الى الاستعراض كعادته دون ان تلين شوكته فى واقع الأمر) نفيته ! كلا ! ان قشتالة لواسعة ، لكن السيد كان الرحب ، لم تسعه قشتالة ، فاض عنها ، ولا يخطر ببال أحد ان يقول : ان البحر ينفى .

ماريا : على اى حال ، فان علاقات التبعية قد تمزقت .

الفونسو : وكيف لا ؟ ها نحن أولاء نسمع ما اعتدنا سماعه : « ياله من تابع طيب ، لو وجد سيدا صالحا » . لم يكن السيد مولى ، لم تكن لديه مؤهلات لذلك ، بل لم يكن حتى شخصا ، لقد كان ظاهرة ، وبالنسبة لى كان من حظى التعيس أن ظهر السيد فى مملكتى : تعيسا كان حظى .

ميلسنايا : (بامعان وفى مباشرة) حظا تعيسا ، يا سيدى ! .

الفونسو : نعم ، تعيسا يا ميثايا ، تعيسا (فى تعمد) وانت كنت تعيس الحظ أيضا ، لأسباب أخرى ، لكن بالنسبة لك ، كان رديئا أن تلتقى بالسيد .

ماريـــا : لأنه تركّكم في منطقة الظل .

خمينـــا : (الى ماريا) وماذا تعرفين أنت ؟

الفونسو : ان ابنتك يا خمينا حاضرة الجواب ، ورديئة التربية .. لا يا بنيتى ؛ ليس لهذا السبب !! ليس من الحتم أن يكون الملك اكثر الموجودين لمعانا ، فنحن ـ معاشر الملوك ـ الوسيلة التى يقاس بها التاريخ ، بدءا من هنا ، ونهاية الى هناك .. وكلما كانت الرعية اكثر لمعانا ، كان الملك اعظم مجدا .. احاول ان أؤدى رسالتى فى شرف ، لا تعجبنى المبالغات وانا برجوازى ـ أعترف بذلك ـ ومملكتى فى هذا العالم ، ومحاولة التوفيق بين الأمور تسبب لى حساسية زائدة ، وبهذا المعنى لم يكن هناك من يحتمل السيد ، والفقرة الوجيزة التى تخصنى فى كتاب التاريخ قد ضخمها، وليس هذا ذوقا حسنا .

مينـــايا : (ثابتا) كان أعظم رجل فى زمننا هذا .

الفونسو : وهذا هو ما أقوله ، ومن ثم فقد كان الأشد صيا ، والأكثر اخلالا بالنظام ، السيد لا يحصره معنى يا مينايا ، ولا يمثل احدا ، يمثل ذاته هو ، انك ـ مثلا ـ ترمز ـ بجدارة ـ لفضائل الأكثرية الصامتة ، اما السيد فقد كان نجما لامعا بفضل الله .

خمينـــا : (كأنها تحدث نفسها) ، ان الراعيات يعشقن النجوم ، لكنهن ـ عادة ـ يتزوجن من الرعاة .

مينـــايا : كان السيد ـ يا سيدى ـ يريد انشاء نظام جديد، وهذه اهميته .

الفونسـو : فى الحقيقة أن أشياء كثيرة كان ينبغى ان تموت ، لكى يولد هـذا النظام الجديد ، أحد هذه الأشياء السيد نفسه . . .إنه الآن غير موجود ، والاصرار على جعل حياته مستمرة انكار لدوره ، لأنه لم يبحث عن هويتـه ، كان يبحث عن هذا النظـام الجديد الذى تتحدث عنه .

خمينـــا : ياله من جـدل يا الفونســو لتمزيق بلنسية ، ثم يقولون فيما بعد : انـا عشـنا حقبة مظلمـة . (ينحنى الملك فى ادب) .

خيرونيمـو : (الى كونستانثا) عن أى شىء يتحدثون خلال هذا الوقت الطويل ؟

كونستانثـا : عن انفسهم هم ، بحجة الحديث عن السيد .

خيرونيمـو : (مقتربا من الفونسو) ليس للسـيد ب د ى ل . (بديل) .

الفونسـو : وأكثر من ذلك ايها الأب ، ليس له ب د ى ل بعد أن ودع الحيـاة ، فنحن كلنا فواصـل ، نقاط تنتهى عندها الجملة وتبدأ فقرة جديدة ، نقـاط خلال السياق فى ذلك الفصـل القائم من التاريخ ، أما هو ، فلا ـ انه جمـلة طويلة معترضـة بين قوسين ، ـ يمر وكانه لم يكن مكتوبا ، حتى انه يعوق القراءة . . لا شىء مما فعل يفيد فى شىء .

ماريـــا : سـيدى !!

الفونســو : ها أنتم ترون . لم يدع فى النهاية سوى مشكلات ، انه استولى على بلنسية ، لكن من يستطيع غيره أن يبقى على بلنسية المفتوحة ؟ كان السيد بذخـا جاء الى قشتالة قبل الأوان بكثير ، مثلما نشـيد قبة ضخمة لا نظير لها ، ولا تكاد نضع اساسات البناء ــ يا للهول ــ : لا يدعونها تكمل .

ماريـــا : لقد هزمك المرابطون دائما ، أما هو ، فلا ، على الاطـلاق .

الفونســو : ما العلاقة بين هــذا وهذا أيتهــا السفيهة ؟ انني لا اقيس نفسي بأبيـك ، ادري انــه حتى بعرشي لا احاذى منكبيه .. ولذا لم نستطع التفاهم .

ماريـــا : لأجل هــذا ، ولأجل بيعة سانتاجاديا (١) .

الفونســو : هذه البنية راسها ملىء بأفكار مبتذلة ، انظـرى أيتها الحلوة ، ان أى قشتالى كان فى وســعه أن يلزمنى بالقسم بأننى لم أقتل ملكه قبل أن يعطينى العرش ، لكن هــذا يماثل تقديم المـاء لغسـل الأيدى قبل تقديم الطعام . أليس معنى ذلك اننا نصــف الضيف بالخنزير .. (الى خمينـا التى ترقب دورها من على بعد وفى غموض) ان ابنتك لا تفهم شيئا ، وبصراحة لا يثير هذا دهشتى ، فان بناتى كذلك مثلها تماما ، ربما ، شىء يتعلق بالسـن ،

---

(١)مجلس عقد فى برغش عـام ١٠٧٢ ليقسم الملك الفونسو السـادس أنه برىء من دم اخية سانشو الثانى ، ولم يجرؤ احد من الحضـور أن يلقن الملك صيغة القسم غير السيد ، ولذلك حفظها له الملك سيئة . المترجم .

ماريـــا : (منطلقة) لكنك نفيته مرتين ، نعم ، أم لا ؟

كونستانثا : ماريـا !!

الفونســو : هذا السؤال لا ينبغي ان يطرح هكذا . فى الحقيقة اضطررت فى مناسبتين الى أن اختـار بقـائى مع السـيد ـ انا وهو منفردين ، يتأبط كلانـا ذراع الآخر فى قشتالة ـ أو ان تظل قشتالة على حالها قبل أن يولد هو ، وقد اخترت الحل الثانى بالطبع ليس ضـد السيد ، بل لصالح قشتالة ، ها أنت ترين ، كان أبوك خفيف الظل على نفسى .

ماريـــا : لا أحد يلحظ هـذا الا قليلا ، وفى النفى الثـانى سجنت كل عائلتنا .

الفونســو : لأننى كنت أريد أن تبقى أمك معى ، انها ابنـة اخى ، أليس كذلك ، اننى اكن لها الود ، فلم اكن لأدعها تمضى مع رجـل مجنون يكتسح اسـبانيا أمامه ، رجـل يعرف فى الغـد ما كان ينبغى أن يأكله اليوم ، رجل ينام على التبن مثل بهلوانة ، ويجامل ملوك الطوائف ، يتمايل مثل زهرية على وشك أن تتحطم ، لقد حظيت أمك بسند طيب ، ليس محلوبا على اية شاكلة .

خمينـــا : (فى بطء) اذا لمـاذا زوجتنى به ؟

الفونســو : لأسباب سياسـية يا ابنتى ، فى اسرتنا صنعنـا اشياء غريبة جدا ، لأسباب تتعلق بالدولة ، افضل الا اتذكر .. كان من المناســب أن نتطـرق الى الجانب العصرى السيد الذى كان يتمتع به الى

حد كبير : فليس علينا سوى ان نرى الزيجات الأربع للبنات ، كان ينبغى تطعيم غصن راسخ فى ليون بفارس فى قشتالة التى قد مسها شيء من الحمق ، والطريقة التى تهدىء من دخانه أن تضفى عليه دخانا أكثر لكن دخانا من ليون (يبتسم منتصرا) .

خمينـــا : (ذاهبة الى المنتصف) حسن جدا ، الى هذا كنت اريد أن أصـل ، لقد مات السيد ، وكنت أنـا زوجته ، ان ذكراه مقدسة .. لكنى مازلت اعيش، لنغلق هـذه الفقرة ، ولنمحهـا ولننسها ، كأن لم توجد .

ماريـــا : ماذا تقولين ؟

خمينـــا : بناتى الآن لديهن بيوت لا بأس بها ، يعشن كمـا يرغبن ، وهن منسيات كذلك ، اننى كونتيسـة هنا فى بلنسية ، وفى وسعى أن اعمل شيئين اثنين : اما أن اسلمهـا لك ، ولا أعتقد انه فى وسـعك الحفاظ عليها وقتا طويلا ، لبعدها جدا عن ليون وطليطلة وبرغش .. واما ان احتفظ بها انـا ، وها هو مزدلى على النقيض من ذلك ، قريب من هنا جدا ، يهددنا .. ان موقفى صعب ، لسـت بطلة ، اننى امراة وحيدة ، بصحبة أسقف أصم ، نجلس مع بعض العجـائز ، وبعض الجنود الأوفياء لأسطورة غير موجودة الآن ، لأننا محوناها .. اليس الأمر هكذا أم لا ؟

الفونسو : ربما كان من الضرورى أن تحددى كلامك .

خمينـــا : أليس الأمر هكذا أم لا ؟

الفونســو : نـ ، نـ ، نعم ، انه تقريبا هكذا . . .

خمينـــا : فى مثل هذه الظروف يا الفونسو ، بوصفك عما ، وملكا ، أطلب منك الاذن أن أتزوج مرة ثانيـــة (توتر ، تصلب كونستانثا ، يكظم مينايا بادرة ألم ، لا تصدق ماريا كل ما يحدث) .

الفونسو : حسنا ، حسنا ، حسنا .

خيرونيمـو : ماذا قال يا كونستانثا ؟

كونستانثـا : انه قال : حسنا ، حسنا ، حسنا .

الفونســو : (يحاول اخفاء دهشته) هذه خاتمة ما كنت افكر فيها ، (ماريا تحنى رأسها ، ثم تخرج حانقة) ولا ابنتك كذلك على ما يبدو لى .

خيرونيمـو : (الى كونستانثا) ماذا حدث ؟

كونستانثـا : (ضجرة) آه من هذا الرجل ! انها تريد (١) أن تتزوج .

خيرونيمـو : الملك ؟ انه تزوج مرتين على الأقل .

كونستانثـا : ليس الملك ، بل دونيا خمينا .

خيرونيمـو : (يعكس ملامح مذعورة) انها أرملة السيد ! (الملك يظهر لخمينا آثار تصريحها بحركة منه) .

---

(١) تصريف الفعل « يريد » وغيره فى الاسبانية يستوى مع « هو » و « هى » ومن ثم حدث لبس لدى الأسقف فضلا عن صممه . المترجم .

الفونسو : (يقول للشخص الوحيد الذى لم يتحدث) وانت ماذا ترى يا مينايا ؟

مينايا : (متحفظا) شىء لا يخصنى يا سيدى ، لقد طلبوا منك انت الاذن ، لا أفهم شيئا فى مسائل الزواج.

خمينا : (ساخرة) ولهذا لم يتزوج قط .

مينايا : (للملك ، محاولا الا يصغى الى خمينا) ان الأمر الذى يخصنى هو قيادة جنودك .

خمينا : (بالنغمة ذاتها) حدث أن كان مرة وكيلا شرعيا فى بعض الزيجات ، وكانت غير موفقة .

مينايا : (بالنغمة نفسها) ان خمينا تعرف أكثر منى ماذا تفعل .

الفونسو : لكن انت بوصفك صديقا حميما للسيد ...

خمينا : (صائحة) ليس لمينايا اية علاقة بهذا الشان !

مينايا : (فى حنان متلفتا الى خمينا) اذا كانت ارادتك أن تضحى بنفسك لحماية بلنسية ...

خمينا : مينايا مثل الطفل ، عليك أن تقدم له الأشياء جاهزة .

مينايا : خمينا ...

خمينا : لتصمت !! (الى الملك) اتخذ القرار أنت .

الفونسو : هكذا ، فجاة .. فى قشتالة ، الكل متزوج ، على

ما أظن .. وفى ناخرا وأوكا (١) .. وربما كلن فى وسع الأسقف أن يطلقهم ، والآن هذا شىء سهل .. والعجوز انسوريث (٢) ؟ او قمامسة ارجونونبرة .. ليسوا على حظ كبير من القيامة .. لكن هذا الأمر ليس خطيرا جدا .

خمينـــا : بالنسبة لك أنت على وجه الخصوص ، فضلا عن اننى مع الآخرين اكون معرضة لخطر ، اذ ينتهى بى الأمر بأن تكون احدى بناتى كنة لى .

الفونسو : شاهدنا امورا اغرب من هذه ، لأسباب تتعلق بالدولة .

خمينـــا : كل ما لم نشاهده ، ونحن الى جوارك ...

الفونسو : فلنفحص قائمة ارامل الرجال ذوى الشأن .. لأننى اظن انك تريدينه ارمل .

خمينـــا : ليس بالضرورة .

الفونسو : ينبغى أن يكون غنيا ، ولديه جيش قوى ، ورغبة فى الدخول فى مشكلات : هذا ، بلا ريب .. لو انعمنا النظر لوجدنا أن الزواج نظام قائم على

---

(١) ناخرا تقع فى منطقة لوغرونيو ، وأوكا مدينة قديمة كانت تقع قريبا من برغش .

(٢) أحد فرسان ثلاثة صحبوا الفونسو السادس بنصيحة دونيا أراكا فى حملته التى هزم فيها مع شانجة الثانى . المترجم .

فكر حصيف جدا ، أليس صحيحا يا مينايا ؟
(مينايا لا يكاد يقوى أن يهز كتفيه) فى مجال السياسة على الأقل . من الصعوبة بمكان أن تمضى قدما مستغنية عنه .. امرأة ذات مشكلات يحلها زواج مناسب . انك حاذقة يا خمينا ، هذه الفكرة كان يجب أن تخطر ببالى .

خمينا : انك فهمتنى خطأ كالعادة ــ يا الفونسو . هذه المرة ليست خمينا معروضة للبيع ، لا أريد ان أتزوج من أجل السياسة . أريد أن أتزوج ، نعم ، لكن من أجل الحب (تدير ظهرها الى مينايا) : الذى أنشده منك أن تهب يدى ــ لو هو قبلها ــ الى مينايا البار آنيث .

مينايا : خمينا !!

خمينا : واذا لم يقبلها ، فالأمر سواء عندى . على كل حال أريد أن أتزوج مينايا (يجثو مينايا ــ دون أن يدرى لماذا ــ مغطيا وجهه براحتيه ، ينظر الملك الى الاثنين ، خمينا ــ حتى الآن ــ لم تلتفت الى مينايا ، نستمع الى ما يشبه الطرق الأصم) .

الفونسو : يخيل لى أن التاريخ يقرع الباب ، لعل من الضرورى أن تجهز راحلة الملك ، وأن يفتح الباب على مصراعيه .

خمينا : (تحتضن خمينا وهى قائمة منكبى مينايا) ليس

التاريخ الذى يقرع الباب ايها الملك الفونسو ، ان الذى تسمعه هو دقات قلبى .

الفونســو : كلا ، انها قوات مزدلى وقد عادت .

خمينـــا : انها دقات قلبى !!

الفونســو : اذهب لاحضـــار الصليب أيهـا الأسقف ، وانت يا ميناايا هلم الى الســلاح !!

خمينـــا : انها دقات قلبى !!

ينزل الستار بسرعة

الفصـــل الثـــانى

(فى غرفة خمينا ، بقصر بلنسية ، مازلنا بالنهار يخيم صمت ثقيل ، خمينـــا يقظـــة تتسمع وقع خطوات ، انها كونستانثا تصل ، تذهب للقائها) .

خمينـــــا : مـــاذا ؟

كونستانثـــا : (تتهانف جالسة على أقرب مقعد) عن اى شىء تسالين ؟ قدمت ميتـــة .. اصـــعدى ، انزلى ، اصعدى ثانية ، اسالى فى المطابخ حيث يعرفون كل شىء قبل ان تقرر هيئـــة أركان الحرب شيئا . ميتة جئت !! (تقضم خمينا اظفارها فى عصبية) هذا القصر يقتل الناس .. كله مجرد دهليز ليس الا ، ما أكثر الأشياء التى لا لزوم لها فيه ، ما أردا تصميمـــه .. كمـــا نرى لم يكن بين المســـلمين من يضاربون على الأراضى .

خمينـــــا : (لا تستطيع كظم ما بها) لكن . ماذا ؟

كونستانثـا : آه . ماذا !! وماذا ادرى انا ؟ .. لا شىء . ما هو خـاص بك لا أحد يدرى حتى الآن عنه شـيئا . يعتقد الجميـع أن « خـلافاتك » مع الملك ليست الا خلافات مالية فحسب : هى « ت ر هـ ا ت » (ترهات) تقريبا .

خمينـــــا : والملك ؟

كونستانثـا : (متاكدة جدا) مغرق فى المباحثات .

خمينـــــا : كيف تعرفين هـذا ؟

كونستانثـا : (فى خطوات واسعة وسمت من يفكر) لأنه امضى صباحه هكذا يتمشى فى الطرقات .

خمينـــــا : وحده ؟

كونستانثـا : بطبيعة الحـال . الملوك دائما يفكرون وحدهم .

خمينـــــا : (لا تكاد تجرؤ) وميناايا ؟

كونستانثـا : لابد أن يكون قد أرسله لمناوشة العدو .. للابقاء عليه بعيدا على ما اتصور — حين يفكر هو — .. أو ليبحث عن احد المسلمين ليقضى عليه (ايماءة من خمينا) وبالتالى تنتهى هـذه المحادثات الى الأبد .

خمينـــــا : هناك دائما شىء أسوأ مما هو سىء .. كنت على شفا جرف هار ، فطلبت مساعدة الملك لينقذنى من المسلمين ، وصل الملك ، انقذنى .. ثم ذهب ، وجعلنى أسيرة .

كونستانثا : اسيرة !! يا لك من مبالغة يا سيدتى ، انك لست اسيرة ، انك حبيســة فقط ليس الا ، ليس فى طاقتك الخروج من غرفاتك ، هذا كل ما فى الأمر ، وشتان بين الأمرين .. فضــلا عن انك بحثت عن هذا بنفسك ، هيه . يا لها من قنبلة قد فجرتهــا بطلب زواجــك . كيف يروننــا فى بلنسيــة .. (تضحك) تأملى فى تجاسرك على أن قلت : انك عاشقة !! ما اشد شجاعتك يا أماه !!

خمينــــا : لو أن العالم كله قال الحق ، لمضت الأشــياء فى طريقها الصحيح .

كونستانثا : لست أدرى .

خمينــــا : ما هو الشيء الذى اطلبــه انا ؟ شيء ليس محرما على احد .. اننى ارملة ، أليس كذلك ؟ وكنت وفية لزوجى حينما كان على وجه الدنيــا : وقد وفيت بالعهد .. لكنى لم امت .. اننى هنــا ، اترين ؟ لو خمشت اى مكان من جســدى لنزف الدم .. لم ارتكب ذنبــا الا انى مازلت على قيــد الحيــاة .

كونستانثا : اجل ، اجل ، لكن لا تهيجى نفسك ، اهدئى .. والآن يا خمينا ، أيتها الجميلة : اعترفى بانك لست امراة عادية .

خمينــــا : بلى ، انــا امراة عادية ، الذى لم يكن عاديــا هو زوجى ، اما انا فنعم ، فضلا عن اننى « اريد » أن أن أكونها . عندما كنت متزوجة كنت ضجرة ،

لم امارس حياة عادية . والآن لست اجد ما يدفعني الى .. قولى لى : اليس لى حـق فى ان ابتـذل قليـلا .

كونستانشـا : اغضضى من صوتك ، فـآه لو سمعوك ...

خمينـــا : لكنهم سوف يسمعوننى ، فبعد أن خلعت البرقع الى الأبد .. الا يستغاث بالسماء ؟ زوجونى دون أن يكون لى حل ولا عقد فى زيجتى ، لم أدر اننى متزوجـة ...

كونستانشـا : كلا . ليس الأمر هكذا ، لا تزيدى فى الموضـوع عن الحد . لقد انجبت اولادا ثلاثة .

خمينـــا : دون أن ادرى ، على ما يبدو فان هـذا ما يسمونه لذة جسدية ، وكانوا يقولون لنا ونحن فتيات انه وقف على الرجال فحسب .. الشيء الوحيد الذى خبرته فقط هو الألم الذى نعانيه ساعة المخاض : من هذا الجانب كان السيد زوجا اسبانيا قحـا : المراة الزوجـة ، حمقاء محتشمة ، باردة ، مليحة لو امكن . اما اللذة الجسدية ففى مكان آخر ، وفى بيته ينتهز اول فرصـة ...

كونستانشـا : عجبا ، عجبا ، كان الكل يدرى أن السـيد أوفى المتزوجين جميعا .

خمينـــا : اذن . هذا شيء سيء بالنسبة له ، لأنه لو كان ضاجعنى فقط تلك المرات التي ضاجعنى فيهـا ، فأى حياة تافهة قد عاشها هـذا التعيس !!

كونستانثا : لأن الحروب كانت كل همه يا امرأة .. والكر والفر، وقوله : « هذا المسلم اريده ، وذاك لا اريده » ان الرجال الذين يصنعون التاريخ معروفون ...

خمينا : لكنى لم أصنع اى تاريخ ، ان ميولى ان اكون دجاجة حاضنة بيتى ، وأولادى ...

كونستانثا : وديكك ؟

خمينا : نعم ، يا سيدتى ، ديكى ، كما قضى الله ، وليس واحداً كل عام ونصف .. ديكى الطيب (فى نغمة مختلفة) زوجونى بعقاب ، لى ثلاثة أولاد : فراخ عقاب الثلاثة .. واكثر من وددته من بينهم مزقوه اربا .. يا لها من حياة يا الهى ! كيف كان دييجو (١) . هيه ؟ بأعوامه العشرين التى لم يستمتع بها أبدا ، ذهب يمثل والده « العقاب الحقيقى » ليمد يد العون للعم الفونسو .. فى واحدة من تلك المعاهدات السلمية التى كانوا يعقدونها فيما بينهم بغتة ، وبقى هناك فى سلام ملعون ، ذاك الذى كلفنى حياة ولدى ...

كونستانثا : ملعونة تلك المرأة التى لا تلد الا ولدا واحدا : لو قتله الأعداء لن يوجد من يثأر له .

خمينا : كان يماثلنى الى حد كبير ، وقد أسالوا دمه ، انها الحروب !! اما اختاه فهما مثل الأب : السخرية

---

(١) مات فى عام ١٠٩٧ اثر الهزيمة التى انزلها المرابطون بجند قشتالة - المترجم .

من الآخرين . انهم اناس يحبون الاستعراض وليس لديهم تلطف حتى فى سـاعة الفهـاء ، ها انت ترين : الليالى القليلة التى امضاها السيد معى : لقد نام كثيرا قبل ان يصل الى السرير .

كونستانثا : كيف كان يعود هذا المسكين محطما .. القتل يرهق الى ابعد الحدود .

خمينـا : وليس هـذا ، لأننى امراة كثيرة المداعبة ، بل على العـكس ، فاننى الى العبوسـة أقـرب ، انت تعرفيننى .. لكن يعجبنى من حين الى آخر نظرة مهمنـة ، تشبيكـة أصابع ، تنهيـدة ، طيش محسوب .. ما هو طبيعى ، الا تعتقدين هـذا ؟ لا ، ليس صحيحـا . ما أكثر المرات التى كنت اشعر فيها بغيرة من بابييكا ، وليس ثمـة حق فى هذا .. لقد كتبت الى الملك : اننى ضجرة من انهم ينادوننى : « زوجة المحسود » .

كونستانثا : آه يا لك من ظريفة !! وبماذا أجابك ؟

خمينـا : بالذى قلته انت ! لم يكن الأمر بهـذا القدر عندما كشف السيد ثوبى من اسفل (تشير الى الحمل) ثلاث مرات .. ياله من رقيق ، كأن لم يكن كل من هب ودب فى اسبانيا قد عرف أن السيد كان راميا مصيبا .. واليوم ، لأن واحدة تريد تنظيم حياتها من جديد ، وايصال صرخاتها الى السماء . انظرى يا كونستانثا : لقد استطعت بشق الأنفس تحمل خاتم واحد ، اما خاتمان فشىء فوق طاقتى. فليدعونى أخرج من التاريخ ، يا الهى ، واختفى

في ركن قصي .. انني لا أريد شيئا من أحد ، كل ما أنشده أن ينسوني ، وليوافقوا علي أن أكون انا أنا ولو مرة واحدة .

ماريـــــا : (تبدو وفي يديهـا بعض أوراق) هـل أستطيع الدخول يا ماما ؟

خمينــــا : هنا في وســع كل من شــاء أن يدخـل أو يخرج يا ابنتي ، الا انا .

ماريـــــا : احضرت هذه الأوراق لتوقعي عليها .

خمينـــا : هل هنــاك شيء حتى الآن متوقف على توقيعي ؟ يا للعجب : انني اسيرة في بيتي ، وهنــاك شيء استــطيع حتى الآن أن اجيب عليــه بالنفــي أو الايجاب .

ماريـــا : لست أسيرة يا ماما (في برود ومباشرة) ببســاطة لقد أعطى لك الملك فرصــة التفكير بضعة أيام على انفراد .

خمينــــا : آه ، نعم ؟ ياله من كريم !! (واثبة) لقد فكرت وحدي أعواما طوالا !! قولي هذا للملك .

ماريـــــا : (وقــد رجعت الى الخلف خطوة في فــزع) انك تتصرفين مثل من يحصل على مرتب جندي يا ماما .

خمينـــا : ما معنى هــذه الجملة ؟ أتعني زوجة الجندي ؟ اذن . هذا ما كنته دائما .. أو قولي احسب امرأة فقط حتى بدون جنــدي .. انني حقــا مــرآة للسيدات ، نموذج الأرامل ذات الشأن في هــذه الأرض .

ماريـــــا : لا ينبغى لامراة ...

خمينــــا : (دون توقف) ما الذى لا ينبغى ؟ الشعور بالحرارة لا بالبرودة ؟ اذن فهذا ما أشعر به !! الا اقوله ؟ ها أنذا أقوله ، اننى اقوله !! لا أدرك من اين لك انت واختك هــذا الهواء المعقم .. كما لو كنت قد نسلت من رجل السيد ! لا من صلبه ، عجبــا ! .

ماريـــــا : فى عائلتنا يا ماما ...

خمينــــا : فى عائلتكم التى هى عائلتى ، أو على الأقل هــذا ما افهمه دائما ، يوجد كل طراز كما هو الحــال فى كل الأسر فى العالم ، لا ينبغى لأحد ان يفخر بما ليس له .

ماريـــــا : يقال دائما : ان المراة لرجل واحد فقط ، لو مات هذا الرجل فذلك حظها السىء ، وما عدا ذلك فامر مبالغات ، وشهوانيات ، وقحاب .

كونستانثــا : بنيتى ، ماذا تقولين ؟

خمينــــا : دعيها ، « انها ماء من تحت تبن » منذ صغرها ، تكن لى الحســد ، كم كان يسعدها أن تكون هى خمينا ، لكنهــا وصلت متاخرة .. المراة لرجل واحد ، اليس كذلك ؟ للأبد !! اكنت تفكرين على هذا النحو عندما الهب ردفيكما انت واختك اميرا كاريون (١) بالسياط فى غابة كوربس ؟ . هنالك .

(١) يسميهم العرب قديما بنى غومث . المترجم .

لا ، أليس حقا ؟ كنتما تعيستى الحظ فى زواجكما ، فكان من الحتم أن تطلقا ، وعدتما باكيتين ، آنستين ، مخضبتين فى مرارة الى منزل أبيكما ، كى يصلح لكما ما فسد مرة أخرى ، كان ينبغى لى أن أخرج فى ذلك الوقت الى الباب قائلة لكما : « آسفة . انا وابوكما آسفان . على المرأة أن تعيش مع زوجها ، ولتكن معتدلة ، فأن كان قوادا فلتحتمله ، امضيا الى كاريون ، وليطحنكما هذان الخصيان ضربا بالهراوة ثلاث مرات أسبوعا . أنتما ابنتا السيد ، والسيد عظيم القدر ، فليس فى الوسع أن تلحقه اهانة . ان جلدكما زوجاكما ـ أعاذنا الله ـ فلتتحمل كل منكما نصيبها » . لكنه لم يقل لكما هذا .. اذ اجتمع مجلس البلاط فى طليطلة وطلقكما ، ومنح يديكما الى أميرين أبوهما ملكان تافهان بعض الشىء، ذلك حق ، لأنه يجب أن نرى ما عندكما ، لكنهما ـ على الأقل ـ لن يعاملاكما معاملة رديئة .. والآن انتما سعيدتان بالزواج ، لا أحد يتحرك ، ولا أحد يتحدث عن الانفصال . كل شاة وقرينها .. فاذا وخزها القرين ، فلتخضع الأنثى للقدر ، ولترتع حيث يطيب لها ، أو تهب نفسها لدير من الأديرة . هذا ما تريدانه ، أليس صحيحا ؟ . اذن ما اذكاكما ....

كونستانثا : ما أبرع تعبيرك يا بنية !!

خمينا شكرا (الى ماريا) كان السيد طليعة اسبانيا : اعرف هذا افضل من اى أحد آخر ، وكنت

احبـه ، اما الباقون ، فكل هجيراهم التشـدق بالكلام ، الثرثرة ، الخوذة ، الدرع ، النفوذ ، البطولة . اما انا فقد احببت غطيطـه ، نزعـه الأخير ، ارهاقه ، خوفه ...

ماريـــا : خوفه ؟ (لمحة من ماريا) .

خمينـــا : نعم . خوفه !! من الذى قـال لك ان السيد لم لم يشـعر بالخوف ، ولم يقض ليـالى آسية ؟ كان مقدمة اسبانيا ، لكن انا اسبانيـا أيضا (تقبل أصابعها على شكل صليب) لأجل هـذا !! واقول لك : لو وجدت فى هذا البلد أشياء قليلة تستحق الاهتمام فانها توجد مستقيمة ، تنهض على اساس صحيح ، والله وحـده هو الذى يغيرها ، اننى خمينا دياث ، وانت تحتاجين الى تناول حسـاء كثير لكى تبلغى حتى الى خصرى ، ليس الأمر سوى هـذا !؟

ماريـــا : هل انتهيت ؟

خمينـــا : نعم ، حتى حين .

ماريـــا : تفضلى (تبسط إمامها الأوراق) توقعين ام لا ؟

خمينـــا : (فى توتر ، تأخذ الأوراق ، تمزقها ، ثم تلقى بها فى وجه ابنتها) هكذا توقع خمينـا !! اذهبى ، وقولى لزوجـك : ان ارملة السـيد هـذه المراة المسكينة التعيسة قد اهانتك (ماريا فى طريقها الى الخروج غاضـبة ، تصطدم بالملك والأسـقف اللذين يدخلان فى عجلة ، هذه الأثناء) .

كونستانشا : آه ، يا لها من قمبيطورة يخسرها العالم !!

الفونسو : ماذا يحدث هنا ؟

خمينا : لا شيء ، انا وابنتى قد لعبنا دورا بورق اللعب ؛ وقد اطحت بها . (تلم كونستانشا الأوراق) ها هى أوراق اللعب .

الفونسو : ما تقولينه فقد علمته ؛ كنت أتسمع من الحديقة ، حتى الأسقف سمعك .

خمينا : اذن لم يبق الا آخر كلمتين

الفونسو : اذا كنت قد رجوتك الا تخرجي من غرفتك ، فانما كان هذا لمنع الفضائح .

خمينا : انك لم ترج منى شيئا ، اذ جبستنى ، وانتهى الأمر ، واذا لم اطل من النافذة ؛ ولم اصح بأعلى صوتى ، فلأن صوتى قد بح ، وسوف يسمع قليلا على وهن ، وعندما اعتقد أن الوقت قد حان فسوف ترى .

خيرونيمو : ان الامبراطور يصنع كل هذا لصالحك يا ابنتى .

خمينا : نعم . انا ادرى هذا ، واعرفه ، الفونسو قد عودنا ان يصنع ما هو خير لنا علي ما يحلو له .

كونستانشا : (وقد انتهت من جمع الأوراق) هذه أمور خاصة .. لا اريد .. ان لم تأمرونى بشيء .. (ماريا تنتهز الفرصة وتذهب خارجة) .

خمينا : نعم . فلتبقى .. وانت كذلك يا ماريا . هذه المشاهد لابد من معرفتها من مصادرها ، حين

تحكى تفقد كثيرا .. اذ أن التــاريخ يتغير كثيرا بحسب الذى يرويه لنا .. ولذا فان الملوك يجزلون الصلات للمؤرخين الذين يموهون التاريخ . هيــه الفونسو ؟ آه . لكن فيما بعد يجىء من يحطم ، معه صابون ، وقطعة من قماش ، ويجلو الحقيقة ناصعة تلك التى نخفيها فى حذر شديد .. هيــا : اجلسوا ، اجلسوا ، انكم فى سجنكم !! .

الفونســو : بداية رديئــة يا خمينــا .. لم تسمحى لنا حتى بحماية نفسك من نفسك يا بنيتى .

خمينـــا : عجبا !! اننى الآن صرت ابنة الجميع ! عندما يبدأ الناس ينادونك « ابنتى » ويحاولون الدفــاع عنك من نفسك فسوف تكون معجزة اذا لم ينته هــذا الأمر بقطع رقبتك .

ماريـــا : (كأنها تحدث نفسها) يالها من تعبيرات !!

خمينـــا : اذا كنا قد نظمنا هــذه السهرة العائلية البهيجــة فلكى نتحدث بوضــوح يا عزيزتى ، امضينا ربع قرن (الا يعجبك هذا التعبير اكثر) يكذب بعضنا على بعض .

خيرونيمــو : (الى كونستانثا) عفوا ، لم أستمع جيدا ...

خمينـــا : انك قضيت ستين عاما دون أن تسمع ، ومن ثم ، فالأمر ســـواء ، على كل حــال ، لا ادرى لمــاذا يبدو لى فى هذا اليوم انك سوف تتحسن (تقترب

من اذنيه) « افتح » (١) (الى الباقين) ومعناها بالاسبانية « افتح » أليس كذلك ؟

خيرونيمو : كذلك ، كذلك ...

خمينا : الا ترون ؟ انه يتحسن ، حتى الصم سيسمعونني اليوم ، (الى ألفونسو) انت أولا ، لأنك انت الملك .

الفونسو : استمعي الى انت اولا ، واهدئي .

خمينا : لا ، انني هادئة جدا .. (هذا كذب) الا يبدو هذا على ؟

كونستانثا : بطبيعة الحال . لابد أن يكون أعمى .

الفونسو : عندما تحدثت فى ذلك اليوم عن الزواج مرة ثانية ، انا لم اعترض ، انك حرة تماما فى تقرير مصير حياتك .. متى كان القرار حكيما ، متعقلا ، وزيجة نافعة ومناسبة برجل قوى فى وسعه ان يحل القضية التى نواجهها .. زواج حذر ، ومعقول وسياسى .

خمينا : فى كلمة واحدة ، اذا تزوجت مرة ثانية لكى أصبح على غير ما اريد فانكم جميعا ستباركونني ، وتصحبونني الى المذبح مليئين بالبهجة ، أما اذا تزوجت لأجل الحب ، وكما يروق لى « فلن يبهجكم ذلك » اليس كذلك ؟

---

(١) رسمها المؤلف كما تنطق فى العربية بحروف لاتينية ، ولذلك فسرها فيما بعد . المترجم .

الفونســو : ان لك طريقــة غريبة فى عرض الأشياء ، انظرى يا خمينا ، ان ذكرى السيد وذكرى فضائله احدى الأشياء القليلة التى مازلنا نأخذها فى الحسبان ، فى وسعنا الاستغناء عنها واستبدالها بقوة حاضرة وفعالة . اما ما هو غير مسموح به فهو طرحهــا أرضا ، وبقاؤنا بدون شيء .. لأن الحب : حبك انت يا خمينا لا يهم الناس ولا التاريخ قيد انملة .

خمينــــا : هــذا على وجـه التقريب ما يمثـله التــاريخ بالنسبة لى .

الفونســو : (دون أن يســتمع اليها) النــاس (يشـير الى خيرونيمو) ورعاتهم يرون أن السيد لا بديل له ، ويريدون أن يكون هكذا .. والت بصفتك ارملة لا عزاء لها ، لأسـباب تاريخية قد يبيحون لك عقد عرس جديد ، أما بصفتك امراة عاشقة لرجل آخر فلا . بالنسبة لهم لا بديل للسيد ، حتى بين ذراعى خمينا . لابد من تأمل الخرافات السياسية كثيرا ، وازالة الغبــار الذى علق بهــا كل يوم ، وتجميلها كما قلت انت آنفــا .. بالنسبة لبطل ما حتى حياته الخاصة لابد ان تكون نظيفة ، ومحل السيد القمبيطور لا ينبغى لأحد أن يشغله ولا حتى فى السرير .. بل فى السرير قبل اى محل آخر ...

خمينــــا : (ضاحكة) الانت تقول هــذا يا الفونسو ؟ هــذا غير ممكن .. ليست الصماء ســوى أنا الآن .. ألأنت انت تقول هــذا ...

الفونسو : بالتأكيد ستبدأين فى قص أكاذيب عائلية ، انه ضرب من عاداتك الحمقى ...

خمينا : منذ البداية .. هيا نبدأ من البداية .. كن يقظا أيها الأسقف .. والد هذا السيد الذى تراه هنا جادا تماما قد مزق اسبانيا ، قسمها بين ابنائه الخمسة .. الخمسة كلا . فقد أعطى لبناته سمورة وتورو فقط ، بشرط ــ ليس حماقة ــ الا يتزوجن مدى الحياة ، ولهذا فحماقة العمة البيرة دفعتها الى تشكيل الاجتماعات من دير الى دير .. وهذا الذى ترونه هنا يقول : « حتى الحياة الشخصية لابد ان تكون نظيفة » قد حبس أخاه غرسيه فى المطبق اكثر من سبعة عشر عاما ، أما أخوه سانشو فقد قضى عليه فى حصار سمورة ...

الفونسو : فى كنيسة القديسة سانتاجاديا قد أقسمت ...

خمينا : وانا ايضا قد أقسمت باشياء كثيرة ، انه استحوذ على أخته أراكا (١) ــ أحدى الشريرات الخطيرات اللائى رأيتهن فى حياتى ، ولتعلم اننى قد رأيت ، فتأمل ــ لكى تساعده فى أن يكون ما هو عليه الآن، وقد تزوج بكنة المعتمد ملك اشبيلية بيده اليسرى (٢) بعدما كان متزوجا بيده اليمنى ، كانت جميلة فى ذلك الحين وتدعى « سيدة » ، لكنها

---

(١) ينسب الى الملك الفونسو علاقة غير مشروعة بأخته أراكا . ولعل خمينا تومىء الى هذا من بعيد . المترجم .

(٢) تعبير مهذب للعلاقة غير الشرعية « بسيدة » كنة المعتمد . المترجم .

اليوم امراة بدينة تسمى ايزابل ، لأنهم عمدوها ، اى نعم ، وهى أم الابن الوحيد لألفونسو السادس، لكن حذار . ينبغى أن تظل الحياة الشخصية نظيفة .

الفونسو : لم تكن الأشياء هينة بالدرجة التى تقصينها انت ، لكن على اى حال قد ابرزت التضحيات التى قدمتها لوطنى فى موضع جلى ، ما كان عسيرا بالنسبة لهؤلاء واولئك هو المضى قدما فى تأسيس هذه المملكة .

خمينا : يا للصفاقة !!

الفونسو : انهم لا يكتبون التاريخ بأيد نظيفة ، كلنا عانينا ، وهذا ما تنكرينه تماما .

خمينا : اننى لم أولد ملكة ولا ابنة ملك ، بل ولدت امراة ، وقد عانيت !! سأذهب الآن لآكل فى ذلك المكان المهمل هذه الكسرة اليابسة التى خلفتموها لى . اريد ان اقضمها قبل ان تسقط اسنانى ، فلا استطيع .

الفونسو : فى مكان مهمل ! انزعى عن عينيك الغشاوة ، وانظرى للوطن : هذا المكان الذى ولدنا فيه ، هذا النهر ، هاته الأشجار ، واناس يتحدثون كما نتحدث ، ويمضون حيث نمضى .. الوطن فوقنا جميعا ، وفوق كسرة خبزنا .

خمينا : دعنى من الحديث عن الأوطان ، هل كان للسيد وطن ؟ لقد أمضيت الحياة تطرده منها : من

قشتالة .. هذا الكهف حيث كل شيء اسود حتى الدجاج .. وهل الشعب هو الوطن ؟ ماذا صنعت أنت لهذا الشعب ، ولماذا أحببته ؟ هل رغب شعب قشتالة فى أن تكون ملكه ؟ ، هل طلب منك أهل ليون أن تحملهم الى الموت فى جولبخيرا (١) ؟ كم هامة أطاح بها المسلمون من شعبك فى ساجراخاس (٢) ؟ هل تسمى انت نفسك وطنا ، وارادتك وطنا ، وحرصك على السلطة وطنا .. دعنى ــ بالله عليك ــ من حديث الأوطان!! ألا ترى اننى أعود الى الكلمات الكبرى ؟ لقد رضعتها يا ألفونسو ونشأت بينها ، ولعبت معها بالكرة وأنا طفلة ، وما كاد يكون لى زوج حتى سلبتنى اياه ، لأنك أعطيتنيه بالكلمات الكبرى ، وكان يمكن أن يكون طيبا ، لطيفا ، حنونا ، لم لا ؟ كان من الممكن أن يكون ودودا ، محبا ، لكنه ــ هيه ــ لم يستطع : كانت هناك دائما بين الاثنين هذه الكلمات الكبرى .. وابنى ؟ ابنى قد خر وحده صريعا وسط الوديان ، وتوسد الكلمات الكبرى بدل الوسادة .. اننى واثقة انه قال لحظة الموت « أماه » ولم يقل « وطنى » .

---

(١) جولبخيرا : تنطق بصيغ متعددة . وهى قرية وقعت فيها معركة بين سانشو الثانى ملك قشتالة ، مع اخيه ألفونسو ملك ليون ، وقد هزم فيها أهل ليون ، وأسر فيها الملك ألفونسو . المترجم .

(٢) ساجراخاس : هو الاسم الاسبانى لمعركة الزلاقة المشهورة ١٠٨٦ ، دارت بين المرابطين وجموع النصارى ، وانتصر فيها المرابطون ، كما هو معلوم لدى القارىء العربى . المترجم .

خيرونيمو : يعلم الله انك عاليك يا ابنتى ، وسوف يثيبك الله على هذا .

خمينا : هل ترون ؟ عندما تقولون « الله » أو عندما تقولون « الوطن » تكونون اذن فى الطريق الى طلب شىء مرعب تطلبون الحياة .. وبدون الحياة ليس من اله ولا وطن .. اذا كان هذا الاله وهذا الوطن لا يجعلاننا سعداء فلأى شىء يصلحان ؟ فى أشياء صغرى تعودتم استخدام الكلمات الكبرى.. تستهلكونها فقط فى مسائل الاقتصاد ، ان الله بالنسبة لكم مجرد محاسب يدفع فى قناعة . كل لحية بدينار ، والوطن ، هذا الفم المعتم الذى يلتهم الأبناء على ايقاع صاخب . لا ، لا . لا أريد اللعب أكثر ، وأنا الآن لدى أيضا كلمتى الكبرى : الحب ! أحب مينايا ! اسمعوها منى : أحب مينايا ، ليس لى من وطن غير مينايا أحب مينايا ! اننى سعيدة جدا لمجرد النطق به ، ولكى اسكت عليكم أن تنتزعوا لسانى ، وحتى لو فعلتم ذلك فسوف أتابع الصراخ بعينى .. أحب مينايا ! اتسمعون ؟ أحب مينايا ! (الملك حتى هذه اللحظة يكظم غيظه بصعوبة شديدة ، عندما تذهب خمينا نحو النافذة ، يهوى عليها ضاغطا على فمها بشدة ، تقاوم خمينا ، ثم تبقى فيما بعد منهكة بدون حراك) .

الفونسو : (للجميع) أخرجوا ، بسرعة (يخرجون . الى خمينا) لو صرخت مرة أخرى فسنقول : انك

مجنونة .. وسأحبسك يا خمينا (يتكلم بشىء من الجهد) تعلمين انه فى مثل سني هـذه لا يروق لى ان أتعرض لمخاطر لا جدوى منها .. ولا صرخة واحدة (تؤمن خمينا وفمها مكمم) والا حبستك (يتركها) .

خمينـــا : لن تكون هذه هى المرة الأولى التى تحبسنى فيها .

الفونســو : الآن اولى (فى رقة بادية) لكنى لم أرده ، دائمـا كنت أقدرك .. واريد مصلحتك يا خمينا .

خمينـــا : اذا لم تصطدم بمصلحتك انت .

الفونســو : هذه حقيقة .. لكن أستعلاء ألسن رقق حاشيتى ادرى انك على صـــواب ، اننى أيضا مرهق من تلك الكلمات الكبرى التى تتحدثين عنها .. لكن ، ماذا اصـنع ؟ ليس لدى غيرهـا ، لابد أن اسـتمر فى استخدامهـا ، ماذا أفعل بدونهـا ؟ انك ذكيـة يا خمينا . الشىء الوحيد الذى اريده منك على وجه الدقة الا تستخدميها أنت .

خمينـــا : (فى ترقب) أنا لا أفهمك ...

الفونســو : كل شىء واضح .. ليس فى وسعى أن امنعك من حب مينايـا . لا يعنينى من تحبين ، شريطـــة الا تقولى ذلك ، أحتفظى بجبهتك عالية ، وافعلى ما تشائين ببقية جسدك .. أعشقى مينايا ، عيشى معه .. لكن ما ضرورة أن يقف الناس على هـذا الأمر ؟

خمينـــا : ماذا تقترح لى ؟ ان اكون عشيقة مينايا ؟

الفونسو : (فى نفاق) العاشق يعشق .

خمينا : (تضحك فى خبث) هذا كنت استطيعه ، حتى فى حياة السيد ، لكنى لم أرد .. لكى انام مع شخص ما لا حاجة بى الى قرار ملكى .. انا عندما احب يا الفونسو أفتخر بحبى (كأنها تتهم) ولا اخجل منه .

الفونسو : حسن جدا .. (من ناحية أخرى) اذا كانت لديك موانع دينية ففى وسعك ان تتزوجى .. يستطيع الأسقف خيرونيمو أن يزوجكما .. فثمة زيجات تتم فى السر لأسباب خاصة .

خمينا : لكن ماذا تعتقد ؟ اعندى شبق للرجال ؟ مسكين يا الفونسو ! ما اسهل كل شىء اذن بالنسبة لى !! لا . (كأنها تحدث نفسها فى عذوبة) الذى اشتهيه هو ان اجلس بجوار مينايا ، فى امسية تومض بالنجوم ، فى بستان يقع بالقرب من مولينا ، ونغنى، ويمر الناس ، يبسمون ويقولون : « انهما مينايا وخمينا العاشقان » .. الذى اشتهيه هو أن أحب (تلامس خديها) ان أجد راس رجل تستريح هنا دون قلق ، يدى رجل اقوم بنزعهما من خصرى اذ لا تريدان تركى ، لأن على ان اعد طعام العشاء ان اجد حنانا بجانبى اقول له : « حسبك يا مينايا ، لا تنظر الى اكثر ، لأن المنزل كله يحتاج الى ترتيب » الذى اشتهيه أن يكون بحجرى رجل ، اغنى له ، فينام ، وانهض ببطء شديد لكى اغسل قميصه دون احداث ضجيج ..

الا تفهمنى يا الفونسو . ظللت طول الحيــاة اقول لك ما أشتهيه ولم تفهمه رغم ذلك .

الفونســو : أفهمك . نعم يا خمينا ، اعتقد أني أفهمك ، انك امرأة ، ما تقولينه لى ليس شديد الغرابة : منذ أمد بعيد فكرت ايضا — فى بعض الأحيــان — ان العالم وجد لنعيش فيه هكذا .. وادرك الآن انه غير صحيح .. أنا أفهمك ، لكنى آسف لفهمــك هذا .. ارملة السيد فى وسعها أن يكون لها عشيق أومئــة ، أو الف : هــذا لا يمس اطــلاقا عظمــة الراحل .. عشيق كل ليلة ، ويظل السيد فى عليائه نقى الثوب فى أمجــاده : بين الأمجاد التى نقتضيها جميعا للسيد .. ثمــة شيء واحد فقط لا تستطيع ارملة السيد أن تصنعه ، فلا تنسيه يا خمينا ، شيء واحد فقط ، بسيط جدا ، ارملة السيد من المستحيل — اتسمعين ؟ — من المستحيــل أن تعود لتتزوج مرة أخرى عاشقة هــذا قرار ملكى .

خمينـــــا : سوف ننظر فى هذا ، أيها الملك الفونسو .. قرارك وقرارى (تدير له ظهرها فى تباه) أريد أن أكون وحدى الآن . (ينظر اليها الملك ، يخرج متثاقلا ، بينما يخفت الضــوء ، يأتى من قبلها همس حثيث لقوات فى حركة ، لكنهــا ليست حركة معــركة : رماح ، تحركات ، أوامر .. الخ . تدخل كونستانثا غرفة نوم خمينا ، حينما تسمعها خمينا تخرج من مخدعها شعثاء الشعر ، دون نوم باد ، فى ســاعة متأخرة من الليل) . ما هــذا الضجيج فى مثل هاته الساعة يا كونستانثا ؟ .

كونستانشا : فى هـذه الليلة لن يغمض أحد عينيـه فى هـذا القصر . آه !! يا عذراء الطريق ، لا . هـذه عذراء ليون ، آه ! يا عذراء كوبادونجا ، ما أكثر هـذا الصخب !!

خمينـا : اننى إسمعه ، لكن ما الذى يحدث ؟ .

كونستانشا : لقد اخرجوا الجنود من ثكناتهم للتجمع ، هـذه حال باحات القصر (تضم اصابع يدها اليمنى بحيث تكون الأنامل الى اعلى) مليئة بالجنود ، والجميع يذهب ويثوب مثل خليـة النحل .. وقد تحدث الملك وابنتك وقتا طويلا فى السر ، والآن يبدوان معا بوجه ملىء بالطمانينة ، اليس هـذا هو الوجه الذى يبدو به ذوو الشأن عندما يقررون فى النهايـة أن يظلوا ذوى شأن ؟ اذن هذا هو . شىء لا يروق لى يا خمينا ، لا يروق لى ، يفوح الليل برائحة الكبريت (فى اغراء) اذا اردت ...

خمينـا : نعم اذا اردت . ماذا ؟

كونستانشا : ان تنتهى من المشهد . كلمة واحدة منك ، ـ وحذار فلن الكلمـات لا تعوزك ـ ويعـود كل شىء الى نظامـه ...

خمينـا : (هادئة محاذية لها) اية كلمة يا كونستانشا ؟

كونستانشا : آه . لا تنظرى الى هكذا . انك تخيفيننى .. اننى واحدة تود معاونتك (تبدا نشاطها) . ثقى فى امراة عجوز ، لا تسمى الأشياء باسمائها يا خمينا ، ان الشىء الذى يخجل هنـا ليست هى الأشيـاء ،

بل الأسماء التي نطلقها عليها .. أتحبين مينايا ؟ (نظرة فاحصة من خمينا) نعم . اتفق معك .. وان كنت لا أعتقد انك تحبينه الى درجة انك تلقين بكل شيء من على متن السفينة ، ولكن غاية الأمر انك تحبين مينايا ، حسنا ، احبيه .. الا ترين ان الأمر بسيط ؟ اذن ليس ثمة ضرورة للقول : احب مينايا ، أحب مينايا، احب مينايا .. وليعلم ذلك السقاءون والصبيان الذين يلعبون بعظام ارجل الخراف (١) ، وصاحبات المطاعم اللائي يذعن الخبر ، وليعلم مندوب البابا ، ليعلم الجميع ، فضلا عن انني سوف اتزوجه ، لأنه سوف يخرج من شجر الزعرور مارا فوق نجمة الفجر » آه يا خمينا ، يا الهي ، يالك من اتان عجوز ! (لم تستطع خمينا سوى ان تبسم ، فتجرؤ كونستانثا أكثر) اعملي بنصيحتي يا إمرأة ، فان المهم عندما نحب شخصا ، هو ذلك الشخص ، لا القصف واللهو . الحب لا يقال ، بل يعمل : عندما يلاك بكثرة فانه يصبح شيئا رديئا .. انت لست عاشقة يا بنيتي انما انت عنيدة تركبين راسك مراكب بعيدة : كلام كثير ، صخب كثير ، اما الحب الحقيقي فلا يزال بعيدا ، انني أعرف ذلك .. الشيء الوحيد الذي لم تقوليه هو الشيء الوحيد الذي كان لابد أن تقوليه .

خمينا : ماذا ؟

---

(١) لعبة قديمة يلعبها الصبيان ، وتشبه لعبة « الملك أو الكتابة » بالعملة الفضية ــ النحاسية ــ عندنا . المترجم .

كونستانشا : ...و على انفراد ، تقولينه لمينايا ، ليس امام الناس ، آه ، يالك من متهالكة فى كشف نفسك !!

خمينا : ماذا ؟

كونستانشا : انا احبك يا مينايا ، فهل انت تحبنى ؟ من يمنحه الله فان سان بدرو يباركه .. لكن ليس سان بدرو دي كاردينيا (تضحك) لماذا الزواج المتسرع ، وهذه الشروط الكثيرة .. أليس الزواج شيئا يهم الاثنين ؟ . الا يوجد فى العالم أسرة ؟ اى ضرورة لقرع الناقوس قبل منح قبلة ؟ آه ، يالك من امرأة ، يا للعذراء المقدسة .. حسنا لتكن اى عذراء !! المسالة بسيطة تتم فى خفاء .. ما هذا الهذيان !! : هل تريدين أن تدق الموسيقى ، الست على صواب أم لا ؟ ماذا تريدين ؟

خمينا : (جالسة مغلوبة على أمرها) ما اهمية الذى افكر فيه هنا وحدى ...

كونستانشا : (كانت تريد أن تصل الى هذه النقطة) أاحضره لك ؟

خمينا : (ناهضة) من ؟

كونستانشا : لا تتبالهى .. مينايا .

خمينا : كيف ؟

كونستانشا : آه ! فى غاية البساطة ! الا تعلمين أن المسلمين يقضون الليالى ساهرين ؟ هذا القصر ملىء بدهاليز سرية .. وأن صواحبك لسن متكلفات مثلك ،

وقد اكتشفنه ، يا لها من تسلية ! . أننى أعرف دهليزا يفضى الى الحديقة .. ومينايا موجود فيها ينتظرنى فى ثانية واحدة اذهب ، وهناك أفضى اليه بالنبأ فى خفية ، ليصعد الى هنا ، ليتحدث اليك .. قولى . هل أخبره ؟ .

خمينا : نعم . (تخرج كونستانثا ، بينما تصلح خمينا شعرها فى عصبية ، وتنظم ملابسها) من أجل حب مينايا ، خمينا فى طريقها الى التخلى عن أن تكون خمينا . . سيبدأ الحب عاجلا فى تقاضى ضحايا ، ادرى أننى أفعل فعلا رديئا ، لكنهم هم السبب يا كونستانثا (الى من بالخارج) هم الذى يدفعوننى الى هذا (تدخل كونستانثا يتبعها مينايا ، خمينا مدبرة لا تتحرك) .

كونستانثا : هنا تبقيان ، مثل فرخى حمام ، ولتستغلا الوقت . . لا تتحدثا كثيرا ، فان الكلمات تذروها الرياح ، ولا تطفىء الصدى .. فليشرب كل واحد من الآخر فى جرعات كبيرة ، هذا ما تشتهيانه .. والا سوف يجىء الآخرون فيما بعد ينتزعان منكما ما تشربان . (تخرج ضاحكة) .

مينايا : (خمينا تدير وجهها فى النهاية ، ذاهبة لترتمى بين ذراعى مينايا ، بينما يرجع الى الخلف بضع خطوات ، مسوغا هذا) لقد أذنوا لى بالدخول ..

خمينا : (متألمة ، مستغربة فيما بعد)هم ؟

مينايا : (اشارة للتأكيد) لقد اشتروا تلك العجوز ..

خمينـــا : اشتروها . لمــاذا ؟

مينـــايا : لمفاجأتنا ، لتدنيسنا ، وامتلاك سلاح ضدك ..

خمينـــا : (تبدو عليها بادرة ألم هائل) لمــاذا اتيت اذن ؟

مينـــايا : لكى اراك للمرة الأخيرة ، لأى شىء آخر كان فى وسعى أن احضر ؟

خمينـــا : هل ستمضى ؟ (يؤكد مينايا) ، الى أين ؟

مينـــايا : لست أدرى ، فالأمر سواء .

خمينـــا : (فى حركة قاطعة) سأمضى معك .

مينـــايا : لن يدعوك تخرجين .

خمينـــا : (نحو النافذة) سأطلب عونا . لدى جنود أوفياء .

مينـــايا : أوفياء للسيد .. ولخمينا زوج السيد ، لا لخمينا عاشقة مينايا .

خمينـــا : لكن لابد من محاولة عمل شىء ما .

مينـــايا : (مغمض العينـــين) لكى نســـتمر أحيـــاء لابد من محاولة عمل ...

خمينـــا : بدونك ؟ أنت تحبنى ؟

مينـــايا : هذا هو الشىء الوحيد الذى أدريه .. وشىء آخر هو اننى فقدتك أو بتعبير ادق هو اننى ما امتلكتك اطلاقـــا .

خمينـــا : (فى احتدام) خذنى الآن ، يا مينايا ، خذنى الآن .

ميناايا : انهم الآن فى الخارج .. يتسمعون علينا ، يحدقون فينا لقد اذنوا لى بالدخول ، ليبرهنوا لك على أن كل شىء مستحيل .

خمينا : (فى فزع) انت ايضا اقنعوك .. انت ؟ ترى اى شىء هذا الذى استطاعوه ؟ ما هذه الكلمات ؟ بأى تهديدات استطاعوا تغييرك ؟ (ملاصقة له) انظر الى يا مينايا ، أجبنى !

مينايا : ما كان ضروريا أن يستطيعوا شيئا .. (فى ألم هائل) انهم على صواب ، لسبب آخر غير الذى يعتقدونه ، لكنهم على صواب .. انت وانا كنا دائما عجلتين متحاذيتين صنعتا للدوران ، واحدة قريبة من الأخرى دون أن تلتقيا اطلاقا . وكان السيد هو المحور الذى يجمع ويفرق ، وكنا تابعين له .. لكى نمتزج انت وانا ، كان ضروريا أن يفرق كل شىء ، وان فليس ثمة محور ولا عجلات ، ولا وجود لخمينا ولا لمينايا .. لا يمكن أن يبدل القدر ، قدرنا – سواء أردناه أم لا – يسمى السيد ، وهو بيننا الى النهاية مثل سيف بارد.. فى وسعنا أن نصرخ ، نشكو ، نضغط أيدينا حتى نهشم عظامها ، يقبل أحدنا الأخر .. آه يا خمينا – فى وسعنا أن يقبل احدنا الآخر على نحو يعجز ملوك ليون وقشتالة مجتمعين أن يفرقوا بيننا .. لكن الأمر سواء ، على كل حال : فان السيد شاخص بيننا دائما مثل السيف .

خمينا : فلنجرب يا مينايا .

مينـــايا : (رافضا) قدرى هو قدر الذين يخسرون دائما ! لقد تعودت . ولست أريد أن أوثقك بقدرى .. أنت تحبين مينايا ، لأن فى عينيه شيئا من السيد : مثل خوذته ودرعه .

خمينـــا : لا .

مينـــايا : اذا كنت تريدين نسيان رود ريجو عن طريق مينايا فقد اخترت طريقا وعرا : سوف يفضى بك مينايا دائما من جديد الى رود ريجو .

خمينـــا : (فى تمـرد) ما اريـده هـو أن أعيش .. لكن « أعيش » ليس معناهـا أن أتنفس يا مينايـا : اعيش تعنى أن اتنفسك انت (تقترب منه) ان نكون أنت وأنا مجتمعين شيئا مختلفـا : لسـت أنت ولا أنا ، انما « نحن » . حيث يكون الآخرون لا مكان لهم ، وأنت تقول : لا ، لا تريد أن يولد هذا « النحن » أهذا يا مينايا الذى كان العالم كله يتوقف عليه ! .

مينـــايا : (يرفض مهزوما) سوف ينسانا العالم .. فى هذا المكان ذاته بعد مئات السنين سوف يتعاهد كائنان آخران على الحب .. لن يعرفا أننـا تعذبنـا ، وأنك غنيت فى أحد الأيام أغنية ، وانني لمحت فى عينيك هاته الدمعة . ان التاريخ يسطره دائمـا أكثر الناس قوة يا خمينا . فى نظر العيون التى عليهـا ان تجىء سيكونون هم الأقوياء (الى من بالخـارج) الأطهار ، الذين لم يمسسهم عيب ، وسنكون نحن الأدناس الأخساء ، لانه لكى يجىء

هذان الكائنان الآخران ، فهماهما على وجه الدقة، لا نحن ، ان بغضهما ضرورى لا حبنا نحن .. الحب انانى : ستنتهى خمينـا فى مينايا ، ومينايـا فى خمينـا .

خمينـــا : اذن ، فلننته ، لنمت معا فى هذه اللحظة ذاتهـا يا مينايـا !

مينـــايا : لم يدعـوا لنا سـلاحا لنموت به ، ولا سـما ، ولا سكينا يا خمينا ، ولا حتى سن الموت .. فى مثل سننا هذه لا يموت الناس من الحب .. شىء محزن ، لكنه هكذا . فى مثل سننا ينافح المرء عن الحياة التى صنعها .

خمينـــا : (محطمة) فى مثل سننا كان علينا أن نجلس على باب المنزل ننظر الى أولادنا وهم يخرجون .. نرى الموت وهو يقبل ، لا الحيـاة ، ليس هذا هو وقت البدء .. ما أقسى ظلم الأشياء جميعها !! من الذى فى وسـعه أن يقول لى : لمـاذا نعيش ، لمـاذا نتعذب .. عندما دخلت ورايتك كنت أحلم ، والآن احـلم بأننى قـد صحوت .. حـالا .. يتنفس الصبح .. كنت أفضل الا أعود من الحلم .

مينـــايا : (فى حنـان بالغ) احلمى الآن بأنـك صحوت .. عندما تستيقظين حقيقة سنكون معا . (خمينا تدير له ظهرها) ساعدينى يا خمينا باسـم الله الحى ، ساعدينى والا ما استطعت أن أقول لك : وداعا (يلفها) هكذا . لا ، هكذا ، لا .. ارفعى وجهك ، أود أن أراك باسـمة مثلما كنت فى مولينا

تلك الليلة (ترفض خمينا) لكى اذكرك دائما
باسمة يا خمينا .. انهم لن يستطيعوا شيئا ..
فى وسع جسدينا أن يكنا لهم خشية ، لكن « نحن »
« نحن » كما تقولين يا خمينا ، نحن ، لا ...
(تفهم خمينا) تبسمى .. ماذا كانت تقول كلمات
الأغنية ؟

خمينا : ربما اكون قدمت

حينما تعود لترانى

قلبى يطير بأجنحة

لكن تنهداتى تمضى راجلة .

مينايا : عندما تستيقظين حقيقة تريننى .. على الدوام

خمينا : (فى رد فعل) لكن حياتى هى هذه يا مينايا !
حياتى هى هذا الحلم ! سأنتهى هنا ، من فى
وسعه أن يشرح لى هذا ؟ (تهوى فى نشيج بين
ذراعى مينايا) .

الفونسو : (يظهر متزنا ، وربما متأثرا) فى هذه اللحظة
لا أحد ، ولا حتى انا وانا الملك .. الذى أستطيعه
هو أن آمر وسأصنع . أخرج القوات يا مينايا من
بلنسية ، ولنعد الى طليطلة ، عندما يتنفس الصبح
لابد أن نكون فى الطريق .

خمينا : تترك بلنسية ...

الفونسو : كان السيد يحلم أيضا ، وكانت بلنسية حلمه ،

فلنستيقظ . قشتالة تحتاج الى التخلى عنها : ليس لديها قوة ، لتستمر فى حلمها .

خمينا : وأنا ؟

الفونسو : انك هزمت مثل الجميع يا خمينا ، مثل أى كائن يحيا ، قليلا مقهورة ، وقليلا منتصرة ! . هناك مئة جندى أسفل ، يحرسون تابوت السيد ، سنحمله معنا ، ستصحبينه حتى سان بدرو دى كاردينيا حيث أمضيت هنالك ليالى طوالا تشتاقين الى زوج . من الآن فصاعدا تكونين بجواره ليلا ونهارا ، هادئا ، ساكنا الى جوارك ، ولا تنسى أن هؤلاء الجنود الذين يحرسون التابوت سيحرسون كذلك حداد أرملة السيد وآلامها طوال الطريق.. هذا ، على الأقل ما سوف يحكيه التاريخ . أما الذى تفكرين فيه ـ وانا الآن أعرف فى أى شىء تفكرين ـ فهو شىء خاص بك أنت .

مينايا : (يتحدث الى خمينا لكى يخفف عنها بعض آلامها) وداعا يا خمينا الى أن نستيقظ .

خمينا : ليكن عاجلا يا مينايا .. وداعا . (يخرج مينايا) .

الفونسو : عندما يكون قد خرج آخر فوج من هذه القوات سنشعل النار فى هذه المدينة من جميع جوانبها ، وحسب ما أعلم فان أناس هذا الاقليم يهوون جدا اطلاق البارود ، وصنع مشاعل نارية رائعة.. وما سنصنع هذا المساء لن ينسى ببساطة .. للقضاء على الأحلام ، والعقارب من الضرورى حرقها .

خمينـــا : يا الهى !! اذن من الحق انه لم يوجد اى شىء ! سوف نحرق الأرض الموعودة .. سـوف نسحق ذكراها فى العالم ...

الفونســو : يفقد الفردوس دائما فى النهاية .

خمينـــا : الم يولد اطلاقا سيد فى بيبار ؟ هل ستمحونه ، لـماذا اتعذب انا اذن ؟

الفونســو : سوف نمحى جميعا فى يوم ما .. وسوف ننسى جميعا ، أو نذكر على نحو سىء بغير ما كنا عليه ، وهذا اسـوأ . (تبدأ الشخصـيات الأخرى فى الدخول من أبواب متفرقة حاشا مينايا) .

خمينـــا : سوف ننسى وجوهنا : اصواتنا ، طريقتنا (تدور مودعـة القصر) فى توديعنـا للأشياء التى كانت تشـكل حياتنـا .. لكن على نحو ما لعل هـذا الأسى يكون مفيدا لبعض النـاس ، فان لم يكن فليس ثمة عدالة .. حسبت اننى ما كنت بطلة ، بلى ، اننى كنتها : هـذه هى بطولتى المسكينة : كونى دائما فضلة بطل ، لكى يستطيع البطل أن يظل بطلا .. بدون خمينا لا يوجد السيد ، إننى مسودته ، لا حاجة الى حرسـك ، سـوف أحفظ ما يشـير الى أن كل شىء كان حقيقـة : جثـة متعفنة ، هذين الخاتمين اللذين فى يدى اليمنى .

ماريـــا : اخيرا !! (تثب تقبل يد امها) .

خيرونيمـو : فى وداعة كاردينيا سوف تجدين سلامك يا ابنتى خمينـا ، بعيـدة عن هـذا الصخب الشـديد ، والصياح الهائل ، والغزوات الشنيعة .

خمينـــا : فى سلام كاردينيا ، الشىء الوحيد الذى سوف أصنعه هو أن انتظر فى النهاية مجىء الرب لكى يشرح لى علة هذا كله الآن ، نعم ، ان التاريخ يطرق الباب أيها الملك الفونسو ، فافتح الباب على مصراعيه .

ماريـــا : اخيرا ، يا ماما !!

خمينـــا : سوف يقص التاريخ هذا الفصل الرائع الذى نسطره : الأرملة المنتحبة ، والملك الذى يعترف بقوة مولى من مواليه ، والأسقف الذى يوزع البركات ، ويسدى نصائح مفيدة ، والابنة الولهى التى تقبل يد أمها . كل شىء الآن على ما يرام .. عندما يتحدثون عن هذا ، فربما يملأ أرجاء اسبانيا السلام ، والابتسام ، وسوف يذكرنا الناس فى امتنان ، لأننا حققنا سعادتهم ، تستطيع النسوة أن يعشقن فى حرية ، ويبدين اعجابهن بحدادى الأبدى .. لكنى أؤكد لكم أنه — فى يوم ما ناء — سوف يحكى أحد — سوف ينسى بدوره أيضا — آلامى ، قصتى الوجيزة هذه ، سيحكى أنه فى الليلة التى استرد فيها المسلمون بلنسية كانت خمينا بجوار تابوت السيد ، لا تبكى من اجل الميت ، بل كانت تبكى ميتتها هى .. كانت تبكى ، لأنها حينما استيقظت كانوا قد سلبوها كل شىء ، حاشا خاتمين اثنين فى يدها اليمنى ، وسلسلة فوق قلبها .

الفونسو : (امام ايقاع اللهب الذى انشأ يحتل أعماق المشهد) بدات بلنسية تحترق ، حان الوقت لنكون

في الطريق ، (يدعون خمينـا تخـرج أولا ، هي مترددة) ، تقترب منها النسـوة مساندات لها ، فتزيحهن) .

خميـنـا : وحـدى !! اتركنني وحيـدة ! ما ينبغي على أن أصنعه من الآن فصـاعدا أستطيع صنعه وحدى (ينشـأن في الخـروج جميعـا) ، بينمـا ينزل

الستار .

ملحق بقلم المترجم

بعض الأسماء الواردة فى المسرحية نوردها هنا مع صورتها الاسبانية والعربية ـ ان وجدت ـ كما كانت تنطق فى تلك الحقبة ، ونعرف بها ما امكن تعريفا موجزا :

السيد : CID هو رود ريجو او لذريق او رذريق كما ينطقها العرب آنذاك ، واسمه عربى ـ كما هو واضح ـ ليس مشتقا من السيادة كما يبدو لأول وهلة ، ويرى الدكتور الطاهر مكى أنه من أسماء الذئب ، وله أدلة راجحة يراجعها من يشاء فى كتابه ملحمة السيد .

البيرة : Elvira ملكة ليون ، وعمة راميرو الثالث، وأم الفونسو الخامس هلكت عام ١٠٢٧ .

ابو بكر : لم أعثر على بيانات تاريخية عنه .

ابن غلبون : حاكم محلة مولينا فى اقليم سرقسطة كما جاء فى المسرحية والملحمة ، وليس لدينا اشارات تاريخية عنه ، سوي ما ذكر فى تاريخ ابن الأثير

وتوجد قرية تحمل اسمه على مسافة قصيرة من مولينادى أرجون تسمى Torre migalbon

البار آنيث : Alvar Hanez هو مينايا فى المسرحية ، وفى المصادر العربية يسمى البار هانس .

سانشو الثانى : Sancho يطلق عليه العرب شانجة وهو أخو الملك الفونسو السادس .

مزدلى : قائد مرابطى تحت امرة يوسف بن تاشفين ، وكان عماد دولته ، حاصر بلنسية فى ٤٩٤ هـ مدة سبعة أشهر ، وكان قد توفى السيد القمبيطور قبل الحصار ، لكن المزدلى اضطر لرفع الحصار عندما وصل الملك الفونسو السادس الذى غادر المدينة بدوره بعد حرقها ، ثم احتلها المزدلى فى رجب ٤٩٥ هـ وحاصر مدينة طليطلة ، وتوفى فى فبراير ١١١٥ م فى هزيمة مرابطية .

الفهــــرس

كتب للمترجم

١ ـ **الخوف من المطر** ـ شعر .

٢ ـ **لزوميات وقصائد اخرى** ـ شعر .

٣ ـ **هدير الصمت** ـ شعر .

٤ ـ **مقام المنسرح** ـ شعر .

٥ ـ **اغانى العاشق الأندلسى** ـ شعر .

٦ ـ **خاتمان من اجل سيدة** ـ مسرحية مترجمة .

٧ ـ **خمس مسرحيات اندلسية** ـ ترجمة .

٨ ـ **تاثيرات عربية فى حكايات اسبانية** ـ دراسات فى الأدب المقارن ط ٢ ـ ترجمة .

٩ ـ **مقامات ورسائل اندلسية** ـ ط ٤ ـ ترجمة .

١٠ ـ **فصول من الأندلس فى الأدب والنقد والتاريخ** ـ ط ٢ ترجمة .

١١ ـ **قصائد من اسبانيا وامريكا اللاتينية** ـ دراسة ومختارات .

١٢ ـ **قلبان وظل** ـ ترجمة .

١٣ ـ **المازنى شاعراً** ـ ط ٣ ـ دراسة .

١٤ ـ **أدب ونقد** ط ٢ ـ دراسة .

١٥ ـ **شعراء ما بعد الديوان** ط ٣ ـ ج ١ ـ دراسة .

١٦ ـ **شعراء ما بعد الديوان** ط ٣ ـ ج ٢ ـ دراسة .

١٧ ـ **فى الشعر العمانى المعاصر** ـ دراسة .

١٨ ـ **حدائق الأزهر** ـ لابن عاصم ـ تحقيق ودراسة .

رقم الايداع ١٩٩٤/٤٦٣٣

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 3803 — 7

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب